مجلة إسلامية شهرية

ديسمبر ٢٠٢٥م

جمادى الآخر ١٤٤٧هـ

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المشرف العام

جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي

مساعد التحرير : أ. عثمان فاروق

المدير المسؤول : محمد حسن إلياس

"ولهذا أصبح لزاماً على إخواننا الفلسطينيين اليوم أن يتعاملوا مع الواقع القائم كما هو، وأن يعيدوا بناء حياتهم وفق الحقائق الموجودة على الأرض، بعيداً عن الأوهام المرتبطة بما يسمّى بالقانون الدولي، الذي لم يثمر لهم شيئاً طوال تاريخ القضية. أو الإدارات الدولية التي هي منحازة تماماً لصالح الصهاينة أو العالم الإسلامي الضعيف المسكين الذي لم يجد لهم نفعا، أو الضمير الإنساني الذي مات في غزة."

(من إشراقة "إعادة النظر في استراتيجية الكفاح المسلّح ضرورة ملحّة لقوى المقاومة" للدكتور محمد غطريف شهباز الندوي، ص ١٠)

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

"المورد": مؤسسة التعليم والبحث
الأهداف والمقاصد التأسيسية

المورد مؤسسة علمية متميزة، تنهض بأمانة التقاليد الفكرية الراسخة التي شكّلت معالم الحضارة الإسلامية عبر القرون. تأسست في مستهل القرن الخامس عشر الهجري[1] انطلاقًا من وعي عميق بأن مسار التفقه في الدين لم يعد يسير على الجادة السليمة. فقد أضحت الدعوة إلى الدين الخالص، المستندة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، غريبة بين المسلمين، بعدما طغت العصبيات المذهبية وتفاقمت النزاعات السياسية التي صرفت الأنظار عن جوهر الدين وروحه.

لقد أصبح القرآن الكريم، الذي يعدّ أساس هذا الدين، مجرد كتاب للحفظ والتلاوة فحسب. وفي المدارس الدينية، غدت العلوم التي كان يفترض أن تكون وسائل للوصول إلى القرآن الكريم مقاصد في ذاتها. أما الحديث النبوي، فقد فصل عن أصوله في القرآن والسنة، وأفرغ من مضامينه الحقيقية، بينما انصبّ الجهد على مبادئ مدرسة فكرية بعينها، والسعي لإثبات تفوقها على غيره من المدارس.

تأسست هذه المؤسسة، التي تحمل اسم "المورد"، استجابة لواقع ديني يتطلب إصلاحًا عميقًا وتقويمًا شاملًا. وانطلاقًا من هذا الوعي، جعلت المؤسسة من أولى أولوياتها السعي إلى ترسيخ الفهم الصحيح للدين، من خلال البحث العلمي، والتحقيق الرصين، والنقد المنهجي للانحرافات التي علقت به عبر العصور. كما التزمت بنشر هذا الفهم على أوسع نطاق ممكن، مستثمرة في ذلك شتى الوسائل المتاحة، مع العناية بتربية الناس وتعليمهم على ضوء هذا التصور الأصيل والمستنير للدين.

لتحقيق هذا الهدف، تم اتباع الأساليب التالية التي تعدّ من الركائز الأساسية

---

[1] شعبان ١٤٠٣هـ الموافق يونيو ١٩٨٣م.

لتحقيق المقصد:

١- الاهتمام بتذكير الناس بالقرآن على المستوى العالمي.

٢- تعليم الناس شريعة الله وفق القرآن والسنة، مع التركيز على تنمية الإيمان والأخلاق.

٣- إشراك العلماء والباحثين ذوي الفكر الصحيح في الدين كزملاء في المؤسسة، وتوفير كافة التسهيلات اللازمة لدعم أعمالهم العلمية، البحثية والدعوية.

٤- حث الناس على إقامة المؤسسات التي تدعم نشر العلم الديني الصحيح في مختلف المجالات، ومنها :

أ- إنشاء مدارس تعليمية تهدف إلى تخريج علماء وباحثين متبصرين في الدين وفق الفهم الصحيح.

ب- إقامة مدارس على مستوى عالٍ، مثل مدارس للمرحلتين المتوسطة والعليا التي تجمع بين التعليم الأكاديمي المتميز مرحلة الثانوية العامة وتنمية القدرات الإبداعية للطلاب، مع توفير التربية الدينية والثقافية.

ج- إقامة مدارس دينية أسبوعية للطلاب من المدارس العامة، حيث يتم تدريسهم القرآن الكريم بطريقة تؤصل في نفوسهم حب الدين، مما يجعلهم ثابتين في إيمانهم في المستقبل.

د- إنشاء زوايا (خانقاهات) يتردّد إليها الناس بين الحين والآخر، فيتركون مشاغلهم الدنيوية لبعض الوقت، ليستفيدوا من مجالسة العلماء والصالحين، ويتعلّموا منهم الدين، ويخلوا بأنفسهم أيّامًا معدودة يتفرّغون فيها للذكر والعبادة طلبًا لتزكية النفوس وتطهير القلوب والأبصار.

مجلة إسلامية شهرية

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المجلد الأول | العدد الحادي عشر | ديسمبر ٢٠٢٥م | جمادى الآخر ١٤٤٧هـ

المشرف العام
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
مساعد التحرير : أ. عثمان فاروق
المدير المسؤول : محمد حسن إلياس

هيئة التحرير
د.ريحان أحمد يوسفي، د. محمد عمار خان ناصر، محمد ذكوان الندوي
د.محمد عامر گزدر، د.عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش

محتويات العدد

الشذرات

إشراقة: إعادة النظر في استراتيجية الكفاح المسلح	رئيس التحرير	٧
دور الدعوة والداعية	الشيخ وحيد الدين خان	١٣
أهمية الإسهامات العلمية للإمام شاه ولي الله الدهلوي	أ. السيد منظور الحسن	٢٣
موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح (١١)	أ. السيد منظور الحسن	٢٧

القرآنيات

البيان: البقرة٢ :١١١-١١٦ (١١)	جاويد أحمد غامدي	٣٣
لمسات بيانية في آية الكرسي (١)	أ. د/ فاضل صالح السامرائي	٣٥

المعارف النبوية

الأحاديث	جاويد أحمد غامدي	٣٩

مقامات

مقطتف من "مقامات" (١٠)	جاويد أحمد غامدي	٤١

www.ghamidi.org

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

شارع ن جوزي، المكتب رقم ٢٣٠ ٣٦٢٠
كارولتون، تكساس ٧٥٠٠٧، الولايات المتحدة الأمريكية
الهاتف: ٣٧٠-٥٠٨٣ (٩٧٢) ١+

الموقع الإلكتروني
www.ghamidi.org/ishraqus

البريد الإلكتروني
info@ghamidi.org

الدين والمعرفة

مقطتف من "ميزان" (١٠) — جاويد أحمد غامدي — ٤٥

آثار الصحابة

آثار أئمة أهل البيت عن الصحابة (١٣) — أ. د/ محمد عمار خان ناصر — ٤٨

الدراسات والتحقيقات

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي (٩) — أ. السيد منظور الحسن — ٥٤

تاريخ جمع وتدوين القرآن (دراسة نقدية) (٥) — الدكتور شهزاد سليم — ٥٨

فهم القرآن والحاجة إلى تحقيق الروايات التفسيرية(٣) — د.محمدغطريف شهبازالندوي — ٦٤

دراسة نقدية للقصّة المروية في الصحيحين عن العسل (٣) — العلامة شبير أحمد أزهر/ د.محمدغطريف شهبازالندوي — ٧٠

وجهات نظر

هل كانت قريش تخشى خلافة بني هاشم؟ (١) — د. عرفان شهزاد — ٧٤

تاريخ الحضارة الإسلامية في سطور — الشيخ نياز الفتحبوري — ٧٨

توافق علامات القيامة في الحديث النبوي (٦) — الدكتور محمد سعد سليم — ٨٢

المختارات

كلمات في تفسير السعادة والشقاوة (١) (مقتطف من شرح البخاري) — الإمام شبير أحمدأزهرالميرتهي/ د.محمدغطريف شهباز الندوي — ٨٥

البحوث الفقهية

نزاع العلماء في حكم ملازمة البيت للمرأة المسلمة (٢) — د. محمد عامر القَزدر — ٩٠

نحو تصحيح المفهوم الفقهي لقاعدة "الخراج بالضمان" — أ. محمد حسن إلياس — ١٠٠

في باب التذكير

آداب حملة القرآن (٢) — أ. عثمان فاروق — ١٠٣

في ذمة الله

العالم المصري الراحل الدكتور زغلول النجار — ياسر عبد العزيز — ١٠٦

في السيرة

حياة أمين (١٠) — أ. نعيم أحمد بلوش — ١١٠

الشعر والقريض

الشكوى وجواب الشكوى (حديث الروح)(٦)	العلامة الدكتور محمد إقبال/ صاوي علي شعلان المصري	١١٤
أهل الكهف	الدكتور صلاح عدس	١١٥
الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية	الأستاذ عمر محمود ضوبع	١١٧
قولى أحبك مرة ثم اختفي	الدكتور محمد دياب غزاوي	١١٨
بين أنيابِ الجراح	الأديب محمد الشرقاوي	١١٩

الأحداث

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد أمريكا"	شاهد محمود	١٢١

الشذرات

د. محمد غطريف شهباز الندوي

إشراقة

إعادة النظر في استراتيجية الكفاح المسلح

ضرورة ملحّة لقوى المقاومة

مع أن الحرب الإسرائيلية المدمّرة التي امتدت لعامين كاملين على قطاع غزة قد توقّفت مؤقتًا، إلا أنها لم تنته فعليًا؛ فالجيش الإسرائيلي لم ينسحب من غزة بكاملها ولا يزال مسيطرًا على رقعة أوسع منها، ويشن غارات جوية مكثفة من حين إلى آخر. لذلك تظلّ الحياة الفلسطينية تعيش أزمات متعاقبة ومشقات لا تنتهي. فالكيان المحتل يواصل اعتداءاته اليوميّة مستخدمًا أدنى الحجج، ويقتل الأبرياء العُزل من أطفال ونساء وشيوخ ومرضى، ولا رادع له عن خروقات الهدنة التي أبرمت بوساطة دول عربية وإسلامية وتحت رعاية الإدارة الأمريكية مباشرة.

منذ توقيع هذه الهدنة، التي اعتبرت زائفة لدى كثيرين لكونها قد تمت بين الضعيف والقوي، استشهد أكثر من ثلاثمائة فلسطيني رغم كل الضمانات الدولية والأمريكية. وليس هذا فحسب، بل إن الولايات المتحدة ما تزال تدعم إسرائيل وتمنحها الضوء الأخضر لخططها الإجرامية. وفي الوقت نفسه، يخطط الكيان لضم أجزاء من الضفة الغربية، وأغلق معبر رفح مجدّدًا، مانعًا دخول حافلات

المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة، مما يزيد من تفاقم أزمة الجوع ونقص الدواء وتدهور ظروف السلم والأمن والصحة والعافيةفي ظل نزول الأمطار وخاصة في زمن الشتاء. والآن حين يوشك تبادل الأسرى الأحياء والأموات أن يصل إلى نهايته أهل غزة يترقّبون بلهفة انتقال الهدنة إلى "المرحلة الثانية" أواليوم التالي كما تسمّى في الإعلام، وفي أملٍ أن تستبدل الإدارة المنهكة بنظام انتقالي جديد لغزة، وأن تتولّى قوات أمنية دولية، إسلامية وعربية، مهمة حفظ الأمن والسلام وتنظيم توزيع المساعدات على نطاق واسع، وبدء مرحلة إعادة الإعمار الشاملة للقطاع المنكوب.

غير أن نتنياهو، الذي وصف باعتباره إرهابيًا ومجرم حرب، ما زال يماطل ويعطّل كل هذه المساعي، إذ يخضع لضغوط المتطرفين في حكومته ويريد العودة إلى خيار الحرب لأي ذريعة تافهة. هذه الرغبة تهدف إلى طمس القضية الفلسطينية وإلغاء أفق حلّ الدولتين، ويبدو أن الرئيس الأمريكي ترمب شريك في هذه النوايا الخبيثة. كما يخططان لنزع سلاح المقاومة وتقسيم غزة إلى قسمين :شرقية وغربية معتقدين أن ذلك سيمكّن العدو الصهيوني، بتعاون الإدارة الأمريكية الماكرة، من القضاء النهائي على القضية الفلسطينية.

يرى محلّلون أنّ التقارب الأميركي-السعودي يمكن أن يدفع ملفّ إقامة الدولة الفلسطينية إلى الهامش، لأنّ الطرفين يركّزان حالياً على مصالحهما الاقتصادية والأمنية الثنائية. ومع ذلك، يبدو أنّ محمد بن سلمان أوضح صراحةً خلال لقائه مع ترامب أنّه منفتح على الانضمام إلى «اتفاقات أبراهام»، لكن بشرط أن يتمّ أولاً وضع خارطة طريق واضحة لحلّ الدولتَين.

ولو أنّ ولي العهد السعودي خضع للضغط الأميركي وتخلّى عن مطلبه المتعلّق بقيام دولة فلسطينية مقابل إقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل، لكانت دولٌ مثل باكستان وإندونيسيا وبنغلاديش وغيرها قد سارعت إلى الاعتراف بإسرائيل الواحدة تلو الأخرى. أمّا الآن، فإذا استمرّ في التمسّك بموقفه ولم ينحنِ أمام الضغط الأميركي، فإنّ ذلك يشكّل خبراً إيجابياً يمنح الفلسطينيين جرعة أمل في لحظة سياسية خانقة.

وللأسف، إن المقاومة تفتقر الآن إلى أوراق ضغط فعّالة على المحتل، فلا أفق مشرق يلوح في الأفق لقوى المقاومة أو للقضية الفلسطينية، في ظلّ ما يبدو من تواطؤ وتردد عربي وإسلامي مستمرّ.

المقاومة اليوم في مأزق خطير لا تعرف كيف تخرج منه أو إلى أين تتجه. القيادات العربية والإسلامية تظهر وكأنها دمى في يد الإدارة الأمريكية التي تحرّكها كيف تشاء. كل هذا يستدعي إعادة نظرٍ جذرية في أحداث السابع من أكتوبر (٧ أكتوبر ٢٠٢٣)، التي شكّلت لحظة فاصلة في تاريخ القضية الفلسطينية والنضال التحريري. كان يوم ٧ أكتوبر قد يصبح نقطة تحوّل لو توفرت له وحدَةٌ عربية وإسلامية حقيقية، ووقفت الأمة وراء قوى المقاومة متحدّة مصالحها الضيقة والانتقائية، دون تحويل القضية إلى ساحة صراع لمكاسب حزبية أو فئوية.

ولا بدّ أن تحمّل قوى المقاومة مسؤولية تقييمها الاستراتيجي قبل التحرك؛ فقد كان عليها أن تقدّر الثمن الباهظ الذي سيتكبّده الشعب الفلسطيني، وأن تكون واثقة من مواقف الأمة الإسلامية: هل ستقف معها أم لا؟ أم أن تبايناتها وضعفها السياسي والاقتصادي وفسادها الأخلاقي ستمنعها من ذلك؟ عند هذه النقطة ارتُكِب خطأ جسيم؛ إذ أخفقت قيادة المقاومة في تقييم قدراتها وقدرات العدو بدقة، وانطلقت بقرارٍ متعجل دفع ثمنه الشعب الفلسطيني ثمناً باهظا. وإذا نراجع هذا القرار اليوم، فإن نتائجه غير واضحة ولا نعرف كيف ستجاوز المقاومة هذه المرحلة الحسّاسة والخطيرة.

يبرّر البعض عملية حماس في السابع من أكتوبر بأن الهدف كان منع العرب والعالم من إخماد القضية الفلسطينية عبر التطبيع مع إسرائيل، بغضّ النظر عن معاناة الفلسطينيين. لكننا نقول إن ثمة طرقًا أخرى لمنع التطبيع دون الانطلاق في هجمة جلبت معها إبادة جماعية وجرائم قتل وتشريد وتجويع لم يشهد التاريخ مثلها. لا يبرِّر ما تبع السابع من أكتوبروجرائم الحرب الإسرائيلية من التعاطف الرأي العالمي مع الفلسطينين ضحايا السبعين ألفًا من الأبرياء بمافيهم عشرين ألفا طفلافلسطينيا في نظرنا.

تاريخًا، تكرّر مثال عن هجومٍ مفاجئ عندما هاجم اليابانيون ميناء بيرل

هاربر في عام ١٩٤١ في جزيرة هاوائي وذهب ضحيته حوالي أربعة آلاف أمريكي، فأدى ذلك إلى رد انتقامي قاسٍ من الولايات المتحدة بلغ حدّ إلقاء القنبلة الذرية على ناغاساكي وهيروشيما. وبالمثال ذاته، هجمت حماس في ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ على إسرائيل، وردّت إسرائيل بشنّ أشرس هجوم على مدينة غزة المحاصرة، ودمرتها تدميرًا شبه كليّ أمام أنظار العالم.

وبناءً على ذلك، على قيادات المقاومة إعادة النظر في استراتيجياتها الكفاحية واستثمار فرصة الهدنة المؤقتة الآن في خطوتين عمليتين: أولًا، تحقيق وحدة الفصائل الفلسطينية وجمع كلمتها وتنسيق جهودها؛ ثانيًا، التعاون مع القوى العربية والإسلامية والدولية من أجل إعادة إعمار شامل لغزة واتخاذ خطوات تدريجية نحو إقامة الدولة الفلسطينية، الحلم الذي بالكاد يستحيل تحققه في ظل الأوضاع الراهنة للمنطقة، حتى لو تطلّب ذلك تجميد السلاح كما تقترح مصر، لا نزعه، لإدارة جديدة مسؤولة عن الأمن والنظام في غزة كمرحلة انتقالية.

في عام ١٩٤٧م، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين إلى كيانين: أحدهما لليهود والآخر للعرب الفلسطينيين. وقد قبلت القيادات الصهيونية القرار فوراً، فقامت دولة إسرائيل مباشرة بعد ذلك. أمّا الفلسطينيون والعرب فرفضوا خطة التقسيم، فلم تُقم دولة فلسطين. وكان ذلك خطأً استراتيجياً كبيراً دفع الفلسطينيون ثمنه باهظاً عبر العقود، وما زالوا يدفعونه حتى اليوم.

ولهذا أصبح لزاماً على إخواننا الفلسطينيين اليوم أن يتعاملوا مع الواقع القائم كما هو، وأن يعيدوا بناء حياتهم وفق الحقائق الموجودة على الأرض، بعيداً عن الأوهام المرتبطة بما يُسمّى بالقانون الدولي، الذي لم يُثمر لهم شيئاً طوال تاريخ القضية. أو الإدارات الدولية التي هي منحازة تماماً لصالح الصهاينة أو العالم الإسلامي الضعيف المسكين الذي لم يجدِ لهم نفعا ،أو الضميرالإنساني الذي مات في غزة. نسأل الله تعالى أن يأتي بإمكانيات خارقة للعادة، تنقذ قوى المقاومة وتفتح طريقًا نافعًا لحلّ القضية الفلسطينية وإعادة الحقّ لأصحابه.

والعدد الحادي عشر من مجلة "الإشراق" العربي" مزدان، كعادته في كل الأعداد السابقة، ببعض الأبحاث المنتخبة من مجلة الإشراق الأردي الصادرة في

أمريكا لعدد نوفمبر ٢٠٢٥م، إلى جانب واحة رائقة من الشعر العربي الحديث.

ونسأل المولى الكريم أن يتقبّل منا هذه الجهود المخلِصة في نشر كلمته، وسائر الأعمال الصالحة. كما نرحّب بآراء المتابعين والمستشيرين لإثراء مجلتنا هذه، بصدور مفتوحة وقلوب واعية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم في الدين،
أ. د/ محمد غطريف شهباز الندوي
(١٦ نوفمبر ٢٠٢٥م، علي كره)

دعوة للكاتبين والباحثين للمشاركة في مجلة "الإشراق" العربي

تدعو مجلة "الإشراق" العربي الكاتبين والباحثين وأصحاب الأقلام المبدعة إلى المشاركة بأبحاثهم ومقالاتهم ودراساتهم في أعدادها القادمة، إسهاماً في إثراء الساحة الفكرية والأدبية، وخدمة للغة الضاد وثقافة الأمة الإسلامية.

تعنى المجلة بتسليط الضوء على القضايا الفكرية والدينية المعاصرة، في ضوء المنهج القرآني، ومقاصد الإسلام، والتجربة الإصلاحية المتزنة. كما تفتح صفحاتها لكل قلم ملتزم، يسعى إلى تقديم معرفة أصيلة، وتحليل عميق، بلغة عربية فصيحة وأسلوب رصين.

وتشمل محاور النشر – دون حصر – ما يلي:

١- الدراسات القرآنية والأحاديث النبوية
٢- التزكية والتربية
٣- الفكر الإسلامي المعاصر
٤- نقد التراث وتجديد الخطاب
٥- قضايا الأمة والنهضة الإسلامية
٦- الشعر والأدب
٧- ترجمات علمية هادفة من لغات أخرى إلى العربية

شروط النشر:

أ- أن تكون المادة أصيلة، غير منشورة سابقًا.

ب- الالتزام بمنهج البحث العلمي والأمانة الفكرية.

ج- سلامة اللغة والأسلوب.

د- أن ترسل بصيغة Word

ه- مع سيرة ذاتية مختصرة للكاتب.

✉ ترسل البحوث والدراسات على البريد الإلكتروني الآتي:

mohammad.ghitreef@gmail.com

usmanfarooq710@gmail.com

الشيخ وحيد الدين خان
صاغه بالعربية: د.محمد غطريف شهباز الندوي

دور الدعوة والداعية

الموسوعة الربانية

إنّ في القرآن الكريم آياتٍ جاءت في صورة الخبر، غير أنّ حقيقتها إنشائية، تحمل في طياتها دعوة للإنسان إلى التأمل في مشروع إلهي عظيم. ومن ذلك قول الله تعالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لقمان: ٢٧).

هاتان الآيتان تكشفان عن حقيقة كبيرة جليلة، هي أنّ كلمات الله وآلاءه لا تنفد، وأنّ استقصاءها وتدوينها أمرٌ يتجاوز حدود هذه الحياة الدنيا المحدودة. فالقرآن هنا يعلن عن مشروع ربّاني عظيم، وهو الدعوة إلى دراسة كلمات الله وآلائه وتدوينها في صورة موسوعة كبرى. غير أنّ هذا المشروع لا يمكن أن يتحقق في إطار الدنيا الضيّق، بل يحتاج إلى عالم أوسع لا يحدّه زمان ولا مكان، أي إلى الدار الآخرة.

ومن ثمّ، يمكن القول إنّ من مهام الحياة الأبدية في الآخرة أن يُكلَّف أهل الجنة بمشروع جليل، يتمثل في اكتشاف كلمات الله وآلائه، وجمعها في موسوعة ربانية شاملة؛ هي ما يمكن تسميته بـ "الموسوعة الربانية."

الدنيا مرحلة إعداد

لم تخلق الدنيا لتكون ميدان كتابة هذه الموسوعة، بل لتكون ميدانًا لإعداد الكُتّاب الذين سيشاركون في ذلك المشروع الكوني في الدار الآخرة. فالمؤمن الذي يستحضر هذا الهدف يعيش حياته على أنّها فترة تدريب وتأهيل، يهيّئ فيها نفسه ليكون عضوًا في ذلك الفريق الرباني في الدار الباقية.

إنّ هذا التصور وحده كفيل بأن يقلب حياة الإنسان رأسًا على عقب، إذ يحرره من التفكير السلبي، ومن نزعات الكراهية والعنف والصراع، ويحوّله إلى شخصية إيجابية فاعلة، مشغولة بالبناء لا بالهدم، بالترقي الروحي والفكري لا بالانغماس في الأهواء والصغائر.

الجنة: دار أنشطة راقية لا مجرّد نعيم حسي

القرآن الكريم وصف نعيم الجنة من أنهار وفواكه وأزواج مطهّرة، لكنه أكّد أنّ ذلك النعيم إنما هو نُزُل أي ضيافة أولية من عند الله تعالى (فصّلت: ٣٢). أما حقيقة الجنة فهي أعمق من ذلك بكثير؛ فهي ليست مجرد دار رفاهية حسية أو عيش مترف، وإنما هي ساحة أنشطة راقية ومعانٍ سامية.

ومن أعظم تلك الأنشطة كتابة الموسوعة الربانية، وهو عمل ممتع ومشرف، يجمع بين المعرفة والمتعة، كما قال تعالى في وصف أهل الجنة:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ (يس: ٥٥).

فالجنة ليست دارًا يصل إليها الإنسان عبر قفزات متهورة أو ممارسات عنيفة، كما يتصوّر بعضهم من خلال فكرة الانتحار أو "التضحية" الخاطئة. إنّ هذا التصوّر للجنة هو تبخيس لقيمتها واستخفاف بحقيقتها. إنما الجنة جزاء عادل بعد رحلة إعداد طويلة في الدنيا، وبعد اجتياز امتحان عظيم في هذه الحياة، عندها فقط يُقرَّر مَن يستحق دخولها ومَن لا يستحق.

التحوّل الجوهري

هذا الفهم العميق للحياة والآخرة يخلّص الإنسان من النزعة "الدنيوية" ويجعله "أخروياً" في توجهه واهتماماته. يرفع مستوى تفكيره إلى آفاق عالية، ويجعل من حياته رحلة إيجابية متفائلة، بعيدة عن النزعات الهدّامة.

فمن يضع نصب عينيه هدف الانضمام إلى فريق كتابة الموسوعة الربانية في الجنة، يعيش حياة مختلفة كليًا، مليئة بالمعنى، عالية الهمّة، متحررة من الصراعات الصغيرة، متجهة إلى الأفق الأبدي الذي لا ينتهي.

إمبراطورية التوحيد

بدأ النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم دعوته في مكة سنة ٦١٠م، وكانت هذه الدعوة في جوهرها دعوة إلى التوحيد؛ أي جعل التوحيد أعظم نظرية فكرية على الإطلاق. وقد دعا زعماء قريش النبيّ مرة وسألوه: ماذا تريد منا؟ فأجابهم بقوله: *"كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم"* (سيرة ابن هشام، ج١، ص٤١٧). أي أنني أطلب كلمة واحدة فقط، إن أنتم أقررتم بها صرتم سادة العرب، وخضعت لكم الأمم من غير العرب. والمقصود بهذه "الكلمة" هو الأيديولوجيا التوحيدية.

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يقصد الهيمنة السياسية، بل كان يتحدث عن الغلبة الفكرية. لقد أراد الله أن يقع في العالم انقلاب يجعل الأدلة كلها تنطق لصالح التوحيد، والظروف كلها تمهّد لانتشاره. وهو المعنى نفسه الذي سبق أن أعلنه المسيح عليه السلام حين علّم أتباعه أن يقولوا في صلاتهم:

> So pray this way: Our Father in heaven, may Your name be honoured, may Your kingdom come, may Your will be done on earth as it is in heaven. (Matthew, 6:9-10)
>
> "ياأبانا الذي في السموات، ليتقدّس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض" (متي ٦: ٩-١٠)

وبحسب القرآن، فلا إكراه في الدين (البقرة: ٢٥٦)، لكن الله أراد أن يكون الدين مبرهنًا إلى أقصى درجة. بعد ذلك يكون الإنسان حرًّا في الإيمان أو الكفر (الكهف: ٢٩). ولتحقيق هذا الهدف كان لا بدّ من ثورة تاريخية كبرى. غير أن هذه الثورة تحتاج إلى فريق من البشر الموحّدين ينهض بمهمتها، وهو ما لم يتحقق مع الأنبياء السابقين. لذلك بدأ الإعداد لها منذ إبراهيم عليه السلام، حين أسكن زوجته هاجر وابنه إسماعيل في صحراء العرب. وعلى مدى ألفَي عام تكوّن من نسلهما شعب جديد هو "بنو إسماعيل"، الذي خرج منه النبي محمد صلى الله

عليه وسلم وأصحابه.

هذه الثورة لم يكن مقدّرًا لها أن تقع فجأة، بل كان لا بد أن تبدأ كعملية تاريخية (process) تراعي حرية الإنسان، وتتطور عبر المراحل حتى تبلغ ذروتها. وقد انطلقت هذه العملية من العرب، لكنها بلغت اكتمالها في صورة الحضارة الحديثة في الغرب.

وكان لهذا الانقلاب بُعدان:

١. البُعد الأول: أن تتطور العلوم حتى تصبح جميع الأدلة العلمية والفكرية شاهدة على صدق الدين، وهو ما تنبأ به القرآن: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ "(فصلت: ٥٣)

٢. البُعد الثاني: أن تتهيأ الظروف العملية التي تدعم الدين، حتى لو جاء ذلك عبرَ أناس لا يؤمنون به، كما في الحديث الصحيح: *إن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر*" البخاري، رقم الحديث: ٣٠٦٢).

وفي القرن الحادي والعشرين بلغ هذا الدعم ذروته؛ إذ صارت حرية الرأي حقًّا مكفولًا، وتقدّمت التكنولوجيا حتى أطلقت كل الإمكانات، وصارت الوسائل السلمية كافية لتحقيق الأهداف، وغدا الانفتاح العالمي سمة أساسية للحياة البشرية.

في بدايات الأمر احتاج المسلمون إلى "مأوى داعم"، فجعل الله لهم قوة سياسية تحمي هذه المسيرة حتى أواخر القرن التاسع عشر. ثم لما اشتد عود العملية التاريخية، لم تعد بحاجة إلى هذا المأوى، بل واصلت التقدّم بذاتها. فالحضارة الحديثة، وتأسيس الأمم المتحدة عام ١٩٤٥، مثّلت محطات حاسمة جعلت الظروف العالمية مؤيدةً تمامًا لأيديولوجيا التوحيد.

الآن لم يبقَ على المسلمين إلا أن يدركوا هذا الواقع، ويخططوا بوعي حتى تصبح أيديولوجيا التوحيد حقيقة معروفة كحقيقة العلم في عقول الناس.

وقد أعلن القرآن عن مهمة الرسول بقوله: *هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ* (التوبة: ٣٣). والغلبة المقصودة هنا ليست سياسية، بل فكرية. وليست حتمًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل في مسار التاريخ

كله، حتى يكتمل المشروع الثوري للتوحيد.

وهكذا نجد في القرآن والحديث نصوصًا تصف أحداثًا معاصرة لزمن النبي، وأخرى تتحدث عن أحداث مستقبلية. فمن النصوص الأولى قوله تعالى : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (المائدة: ٣)، أي أن نزول الوحي قد اكتمل. ومن النصوص الثانية قوله :" يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (التوبة: ٣٢)، أي أن مشروع إتمام النور سيتحقق حتمًا عبر التاريخ، رغم محاولات المعارضين.

وبالفعل، ظل هذا المشروع مستمرًا عبر القرون، بمشاركة المؤمنين وغير المؤمنين على السواء، حتى بلغ كماله في العصر الحديث. لكن كثيرًا من المسلمين لا يدرسون التاريخ بهذا المنظارولا يدركونه بهذه الرؤية؛ فهم يعتبرون فقط ما فعله المسلمون تاريخًا للإسلام، ويغفلون أن القوى "المدنية" أو "العلمانية" أسهمت أيضًا في إنضاج الظروف العالمية التي تدعم مشروع التوحيد.

الإسلام يتكون من شقّين:

- شق أيديولوجي، وهو مستند إلى القرآن والسنة ومستخرج منهما.
- وشق تأييدي عملي، شاركت فيه أمم العالم كلها عبر تطوير مفاهيم الحرية والانفتاح والاتصال والمعايير الدولية.

إن إدراك هذه الحقيقة سيحوّل رؤية المسلمين من عقلية "نحن وهم" إلى عقلية "نحن ونحن"، ويولّد لديهم ذهنية إيجابية (Positive Thinking) هي أعظم مصدر قوة لهم في الحاضر والمستقبل.

البنية الضرورية للدين

ورد في حديث النبي ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا» (سنن الترمذي، رقم الحديث ٢٦٣٠). أي إن الدين سوف ينكمش إلى الحجاز كما تنكمش الحيّة إلى جحرها. والمقصود أن الدين سيظل حيًّا محددا في الحجاز حتى في زمن الفتن.

الحجاز هو الإقليم الذي بُعث فيه النبي ﷺ، وفيه الحرم المكي والحرم المدني، وفيه تَشكّلت أحداث التاريخ الإسلامي، وهو موطن إبراهيم وإسماعيل، ثم النبي ﷺ

وأصحابه، وهو مركز عبادة الحج. والحرم مكان يُحرَّم فيه قتل أي كائن حي.

لذلك أصبحت أرض الحجاز ذات مكانة خاصة بين المسلمين. وهي حقيقة تاريخية أشار إليها النبي ﷺ بلسان التنبؤ: أنه عندما تعمّ الفتن في العالم، فإن الحجاز سيبقى نسبيًّا في مأمن. وحتى في أجواء العنف سيتجنب المسلمون ممارسة العنف فيه احترامًا لحرمته. ولهذا سيبقى الهيكل الأساسي للدين قائمًا هناك بشكل أو بآخر.

وبالتأمل يتضح أن هذا الهيكل هو أن تتجنب الأمة الصراع السياسي كليةً، وتستمر في البناء السلمي في غير المجال السياسي. ويمكن التعبير عن ذلك بجملة واحدة:

القبول بالوضع السياسي القائم، والانشغال بالدعوة والبناء.

فالنزاعات العنيفة تنشأ دائمًا من القضايا السياسية. ومن ثم قرر الإسلام مبدأ أن يرضى المسلمون عمليًّا بالوضع القائم في السياسة، لكي يظل مجال البناء السلمي مفتوحًا دائمًا. وبهذا يستمر المشروع الرباني بلا توقف. ومن هذه الزاوية تُمثّل أرض الحجاز نموذجًا عمليًّا.

وهذا الترتيب بين السياسة والبناء مطلوب في كل منطقة إسلامية. لكن الحديث خصّ الحجاز بالذكر لأن طبيعته الخاصة جعلت فيه نوعًا من الإلزام النفسي، بحيث إن المسلمين حتى في زمن الفتن سيبتعدون عن العنف داخله. وبهذا يبقى الحجاز نموذجًا عمليًا للناس، يذكّر المسلمين في كل مكان أن يتبنوا هذا النموذج السياسي، لكي يستمر مشروع الإسلام الأساسي بلا عوائق وبلا انقطاع.

بداية عهد جديد

في العصر المدني من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وقع حدث تاريخي عظيم، عُرف في كتب السيرة باسم صلح الحديبية .وقد وقع هذا في السنة السادسة للهجرة. والحديبية في جوهرها لم تكن إلا اتفاقية سلمية أنهت مرحلة طويلة من الصدام بين أهل التوحيد وأهل الشرك، وهو الصدام الذي بلغ أحيانًا حدّ الحروب والمعارك. لكن بعد هذا الصلح طُويت صفحة الصراع العسكري، وانفتح أمام المؤمنين أفق جديد: حرية نشر رسالتهم بوسائل سلمية، دون مقاومة مسلّحة من الطرف الآخر.

وبعد إبرام هذا الاتفاق نزلت سورة الفتح، وفي مطلعها أعلن الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ١-٢)

أي إنّا منحناك فتحًا بيّنًا، ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك، ويهديك الطريق المستقيم.

الطريق المستقيم هنا، إذا فهم في سياق صلح الحديبية ووقائعه، لا يعني إلا المنهج السلمي لتحقيق الأهداف .فالرسول صلى الله عليه وسلم بعد هذا الصلح اعتمد هذا النهج في دعوته، فكان أكثر فعالية وتأثيرًا، حتى عمّ التوحيد أرجاء الجزيرة العربية خلال سنوات قليلة، بعدما كان الشرك هو السائد.

إذن الفتح المبين لم يكن فتحًا سياسيًا، وإنما كان فتحًا فكريًا وعقائديًا . وهكذا يتضح أن رسالة الإسلام غايتها الانتصار الفكري لا السياسي .والحديبية لم تكن مجرد اتفاق محلي بين قبائل العرب، بل كانت تدشينًا لمرحلة تاريخية جديدة، مسارًا تحوّليًا ظل يتطور عبر الزمن حتى بلغ ذروته في القرن العشرين، حين أعلنت منظمة الأمم المتحدة أن الطريق الوحيد المقبول عالميًا لتحقيق الأهداف هو الطريق السلمي .وبذلك أُغلِق الباب أمام أي تبرير مبدئي للعنف والحرب كوسيلة مشروعة.

لقد أسهمت أحداث كثيرة في بلوغ البشرية هذا الإدراك، وأبرزها الحربان العالميتان (١٩١٤-١٩١٨) و(١٩٣٩-١٩٤٥). فقد خاضت فيها كل القوى الكبرى، واستخدمت أسلحة فتاكة لم يشهدها التاريخ من قبل، ورغم ذلك لم تثمر إلا الدمار والخسائر الفادحة من دون تحقيق أي أهداف سياسية. وكانت النتيجة أن البشرية وجدت نفسها أمام حتمية تاريخية :خيار الحرب لم يعد مجديًا، والبديل الوحيد الممكن هو السلام. ومن رحم هذه التجربة المريرة وُلدت الأمم المتحدة، التي يمكن النظر إليها باعتبارها حديبية كونية.

قبل ذلك كان الناس — بشكل معلن أو ضمني — يرون أن الحرب هي السبيل الطبيعي لتحقيق الغايات. لكن هذا التصور انتهى فعليًا في منتصف القرن العشرين، إذ أصبح السلم هو المعيار الكوني. الحرب بعد ذلك لم تعد إلا استثناءً نادرًا،

بعدما كانت هي القاعدة السائدة في التاريخ.

اليوم ينقسم العالم إلى شطرين: عالم علماني، وعالم مسلم. العالم العلماني يعتمد معيارًا واحدًا هو النتيجة: العمل الذي يُثمر يُعتمد، والذي لا جدوى منه يُرفض. ومن ثم اعتمدوا بعد عصر النهضة أساليب جديدة لبناء قوتهم الصناعية والتجارية، فاستغنوا عن القوة العسكرية والسيطرة السياسية المباشرة، واكتفوا بسلاح الجودة والتنظيم .من خلال الاستثمار (Investment) والاستعانة الخارجية (Outsourcing)بنوا إمبراطوريات صناعية كبرى بلا أي مواجهة عنيفة تُذكر.

لكن الاستثناء الوحيد هو العالم الإسلامي. ففي حين أدركت الأمم الأخرى أن العنف عقيم، ظل بعض المسلمين متمسكين بالعنف كوسيلة دينية، حتى أصبح التشدد المسلح ظاهرة "إسلامية" في نظر العالم. وأحداث مثل ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أو هجمات باريس ٢٠١٥ شاهدة على ذلك.

وسبب هذا الاستثناء أن التراث الفقهي المتأخر رسّخ مفهوم "الجهاد القتالي" بوصفه الأصل، بدل أن يرسّخ مبدأ السلم الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم. حتى غدا ذلك عقيدة، بل وصل الأمر إلى أن بعض العلماء برروا العمليات الانتحارية باسم "الاستشهاد"، مع أنها لا تجد سندًا صحيحًا من قرآن أو حديث.

وقد أنبأ النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المأساة بقوله:

"إذا وُضع السيف في أمتي فلن يُرفع عنهم إلى يوم القيامة»

(سنن ابن ماجة، رقم الحديث: ٣٩٥٢)

تاريخ الإسلام

بدأ النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم دعوته في مكّة سنة ٦١٠م. كانت رسالته في جوهرها رسالة توحيد ودعوة سلمية. في المرحلة الأولى لم يكن للمسلمين من مصادر الإسلام سوى القرآن والحديث، إذ لم يكن هناك طباعة، فكان الاعتماد على الحفظ والمخطوطات. وكان القرآن والحديث المصدر الوحيد لفهم الإسلام وتلقي تعاليمه.

لكن مع مرور الزمن تغيّر الأمر، وأصبح التاريخ -عملياً- هو المصدر الذي يصوغ وعي المسلمين، لا القرآن والحديث.

نشأة النمط الغزواتي والفتوحاتي

في القرن الثاني الهجري بدأت كتابة السيرة، فجاءت كتبها على النمط الغزواتي، مثل مغازي الواقدي، مغازي موسى بن عقبة، ومغازي ابن إسحاق. بينما كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة أساساً على الدعوة السلمية، أوحت هذه الكتب للقارئ أن رسالة النبي ومهمته كانت قائماً على الحرب والقتال.

ومع قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ، توسّع التأليف في التاريخ الإسلامي، لكنه بقي محصوراً في النمط نفسه: نمط الفتوحات. مثل فتوح الشام للواقدي وفتوح البلدان للبلاذري.

لماذا غلب هذا النمط؟

السبب يعود إلى التأثير الزمني؛ إذ كانت الكتابة التاريخية في العالم القديم تدور غالباً حول الملوك والسلطنات والحروب. وعندما بدأ المسلمون التدوين تأثروا بهذا النموذج السائد، واتبعوا الأسلوب نفسه. وهذا ما يسميه القرآن "المضاهاة" (التشبه بالآخرين) (التوبة: ٣٠).

ابن خلدون والنقد الأول

كان عبد الرحمن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) أول من انتقد هذا النمط، واعتبر أن التاريخ يجب أن يعبّر عن النشاط الإنساني كله، لا عن السياسة والحروب فقط. عرض فكرته هذه في *مقدمة ابن خلدون*. لكنه حين ألّف كتابه في التاريخ (*ديوان المبتدأ والخبر*) لم يستطع الخروج تماماً من النمط السائد.

سيطرة النمط السياسي

على مدى ألف سنة تقريباً ظلّت كتب التاريخ الإسلامي تدور في الإطار السياسي: أخبار الدول والملوك والحروب. وكانت النتيجة تغييب أهم جانب في التاريخ الإسلامي، وهو الدعوة إلى الله.

فنجد مثلاً:

- الكامل في التاريخ لابن الأثير، رغم عنوانه، ليس "كاملاً" لأنه خلا من الجانب الدعوي.
- البداية والنهاية لابن كثير، رغم ضخامتها، لم تُفرد للدعوة مساحة حقيقية.

ولم يقتصر هذا على التاريخ؛ بل امتدّ إلى سائر العلوم. ففي كتب الحديث وُجد "كتاب المغازي" و"كتاب الجهاد" مطوّلة، ولم يوجد "كتاب الدعوة والتبليغ". وكذلك في كتب الفقه. وهكذا تكوّن لدى الأجيال المسلمة عقل سياسي وجهادي لا عقل دعوي. حتى كتب ذات أهمية كبيرة مثل *حجّة الله البالغة* لشاه ولي الله الدهلوي لم تتناول باب الدعوة، مع أن القرآن يقرر أن حجة الله تقوم بالدعوة (النساء: ١٦٥).

ومن المفارقة أن أول كتاب شامل عن الجانب الدعوي كتبه مستشرق مسيحي: T. W. Arnold, The Preaching of Islam (1896)(الدعوة إلى الإسلام ألفه تي دبلو آرنولد).

(يتبع...)

بقلم: الأستاذ السيد منظور الحسن
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

أهمية الإسهامات العلمية للإمام شاه ولي الله الدهلوي

[مستوحاة من كلمة للأستاذ جاويد أحمد غامدي]

في التراث العلمي للمسلمين كان لفهم الدين وتقديمه منهجان رئيسيان: الأول المنهاج السلفي، والثاني منهاج الفقه والتدبر.

المنهاج السلفي يقوم أساسا على مبدأ الطاعة، ففي هذا المنهاج يظهر الدين على أنه مجموعة من الأحكام. وتتحدد قائمة من الأوامر والنواهي التي يجب على المكلّفين الالتزام بها. ويستنبط من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ أحكام الترك والفعل، ويفرض على الناس التقيّد بها. ولأجل هذا الغرض يرجع إلى جانب القرآن والحديث وآثار الصحابة الكرام أيضا.

فإذا ثبت أنّ الحكم منسوب إلى رسول الله ﷺ فإنّ البحث في مصدره يكون أمرا ثانويا؛ أي لا تعود المسألة مهمة كثيرا فيما إذا كان مصدر الحكم هو القرآن والسنة أو الأحاديث والآثار.

ينتج عن هذا النمط من التفكير أن تفهم الأحكام على نحو مجزّأ ومنعزل، فتعرض كل مسألة على حدة من غير أن تربط بسياق كليّ يبيّن موقعها في بنية الشريعة ومقاصدها. فلا يلتفت إلى العلاقات التي تصل بين الأصل والفرع أو بين الكل والجزء، كما لا يعنى هذا المنهج بدراسة الحكم في ضوء أسبابه وعلله التي تبرز حكمته وغايته.

أما منهاج الفقه والتدبر، فعلى العكس من ذلك، فإنه يقوم على مبدأ التأمل

والنظر العقلي. فالدين في هذا المنهاج لا يقدّم على أنه مجرد مجموعة من الأحكام، بل ينظر إليه بوصفه نظاماً فكرياً متكاملاً. وتبذل الجهود لفهم الأحكام في إطار شامل يبرز ترابطها الداخلي وتناغمها المنهجي. يبحث في هذا الاتجاه عن الأساس الذي تقوم عليه الأحكام، وعن الفلسفة التي تستند إليها، والحكمة التي تنطوي عليها، والنظام الذي تنتظم فيه. فلا تعدّ طاعة الحكم كافية في ذاتها، بل يسعى أيضاً إلى تحديد علّته ومبناه وأصله. ومن خلال هذا المنهج تتجلّى العلاقات الدقيقة بين الأحكام المختلفة، من حيث النصّ والشرح، والفصل والاشتراك، والكلّ والجزء، والأصل والفرع، فيظهر الدين كمنظومة مترابطة ومتناسقة في مبادئها ومقاصدها.

هذان هما المنهجان في فهم الدين، ويمكن توضيح الفرق بينهما بمثال البناء وأجزائه.

في المنهاج السلفي تبدو الأمور كما لو كانت موادّ البناء قبل تشييد العمارة؛ فهنا طوب، وهناك حجارة، وذاك ملاط، وذاك طلاء. أي إن العناصر كلها تظهر متفرقة ومنفصلة، دون أن تتكوّن منها صورة كلية متكاملة.

أما في منهاج الفقه والتدبر، فإن هذه الأجزاء نفسها تتخذ هيئة البناء المتناسق؛ إذ يوضع كلّ جزء في موضعه المحدد ضمن نظام دقيق وترتيب منسجم، فتتجلّى وحدة البناء واتساقه، ويبدو الدين في صورته الشاملة التي تربط بين عناصره ومقاصده في إطار واحد جامع.

في نظرنا، إنّ منهاج الفقه والتدبّر هو المنهاج الأقوم الذي سعى من خلاله علماء المسلمين، على امتداد تاريخهم، إلى إدراك الدين على وجهه الصحيح. وقد سلك هذا الطريق أئمّة الحنفية والشافعية وجماعة المتكلّمين، إذ وجدوا فيه السبيل الأمثل لفهم الشريعة واستيعاب مقاصدها. ومع أنّ مناهجهم في النظر ونتائج اجتهادهم قد تتباين، فإنّهم يشتركون جميعاً في رؤية الدين بوصفه نظاماً فكرياً متكامل البنية، تتساند فيه الأحكام والمعاني ضمن إطار واحد منسجم. ومن ثمّ، يمكن القول إنّ هذا المنهاج التأمّلي العميق يمثّل القاسم المشترك الذي يجمع بين مدارسهم ومناهجهم الفكرية.

إنّ النظر إلى الدين من هذا المنظور يحدث فرقاً بالغ الأثر؛ إذ يمكّن من إدراك الأساس الفلسفي للأحكام، ويبرز حكمتها، ويظهر نظامها الداخلي وترتيبها ومراتبها،

كما يبيّن الصلات التي تربط بعضها ببعض، ويحدّد قيمتها ومكانتها ضمن الإطار الكلي للدين.

ويعدّ الإمام أبو حنيفة عليه الرحمة مؤسّس هذا المنهاج القائم على الفقه والتدبّر. فعلى الرغم من أنّه لم يدوّن كتاباً مستقلاً في أصول هذا المنهج، إلا أنّه وضع أسسه الكبرى، وغرس مبادئه في عقول تلامذته حتى استقرّت فيهم رسوخاً. ثم جاء تلامذته بعده فشيّدوا على تلك الأسس صرحاً علمياً متكاملاً. ثم تلاه الإمام الشافعي رحمه الله، الذي امتاز بأنّه سعى إلى تنظيم هذا المنهج وتقعيده، وأضاف إلى ذلك جهداً آخر حين حاول التوفيق بين المنهاج السلفي ومنهاج الفقه والتدبّر، وهي محاولة أثّرت تأثيراً عميقاً في العلماء من بعده. ولهذا نرى أنّ معظم الأئمة الكبار الذين برزوا في العصور التالية كانوا على المذهب الشافعي، متأثرين بهذا الجمع الموفّق بين النقل والعقل، وبين النص والتأمل.

في مدرسة الفراهي الفكريّة، يعدّ هذا المفهوم بالغ الأهميّة، حتى إنّ محاولة فهم الدين من خلال منهاج الفقه والتدبّر تتحوّل في ذاتها إلى برهان على صدق هذا الدين ومصدره الإلهي. فالنتيجة التي تنبثق عن هذا المنهج ليست مجرّد رؤية فكرية، بل هي نظام معرفيّ متكامل يمثّل في حدّ ذاته معجزة قائمة. ذلك أنّ البناء الفكري لهذا الدين يبدو على درجة من التماسك والدقّة والترتيب والانسجام بين أجزائه، بحيث يدرك الناظر أنّه لا يمكن لأيّ فلسفة إنسانية أو منظومة فكرية أخرى أن تضاهيه أو تقاربه في عمقه واتّساقه. فهو نظام يشهد بنفسه على أنّه وحي من عند الله تعالى.

الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمه الله (١١١٤-١١٧٦) يعدّ من كبار العلماء الذين ساروا على هذا المنهاج الثاني، أي منهاج الفقه والتدبّر في فهم الدين. فقد انتمى بعمق إلى تلك المدرسة العلمية التي نشأت في العالم الإسلامي نتيجة هذا المنهج، وهي المدرسة التي انكبّ علماؤها على دراسة الشريعة واستنباط قواعدها الكلية لإبراز ما فيها من نسق وترابط ونظام دقيق، وكان للحنفية والشافعية فيها الدور الأبرز. ولهذا السبب، لا يمكن بحال من الأحوال إغفال شخصه أو التقليل من شأن عمله.

كان شاه ولي الله راسخاً في تراث الفقه والتدبّر، لكنه، مع ذلك، لم يعرض

عن المنهج السلفي، بل نظر إليه بعين التقدير. ويبدو أنّ رحلته إلى الحرمين الشريفين كانت نقطة تحوّل مهمّة في مسيرته العلمية، إذ ازداد فيها وعيه بقيمة الأحاديث النبوية وأهمّيتها البالغة في بناء الفهم الديني. ويمكن القول إنّه أعاد قراءة المنهج السلفي ضمن رؤيته الفكرية الشاملة، فكتب شروحاً على الموطأ للإمام مالك عليه الرحمة بالعربية والفارسية، وتناول في كتابه العظيم "حجة الله البالغة" كلّ ما يتصل بالأحاديث النبوية التي تبيّن معالم الدين وأحكامه.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول إنّ شاه ولي الله قد وحّد بين المنهجين: السلفي من جهة، ومنهج الفقه والتدبّر من جهة أخرى، محاولاً الجمع بينهما في نسق واحد متكامل. لقد سعى إلى أن يبرز أنّ هذين التيارين لا ينبغي أن ينظر إليهما على أنّهما متقابلان أو متعارضان، بل متكاملان ومتساندان. وبعبارة أخرى، فقد نسج شاه ولي الله خيطاً فكرياً واحداً جمع فيه هاتين المدرستين، فجعل من كلّ منهما حبّة لؤلؤ في عقد واحد يعبّر عن نظام فكري موحّد للدين، استطاع من خلاله أن يبدّد كثيراً من مظاهر التباين والاضطراب التي كانت محتملة بين المنهجين.

وفي تقديرنا، لقد تميّز الإمام شاه ولي الله، باكتشافه ذلك الرابط العميق الذي استطاع من خلاله أن يجمع بين المنهجين، ويؤسس عليه نظامه الفكريّ المتكامل. وهذا في حدّ ذاته إنجاز فريد يسجّل له بجدارة. ومن هذا المنطلق يمكن القول إنّ مكانته الفكرية تشبه "مجمع البحرين" حيث يلتقي المنهجان ويتكاملان. ولهذا نرى أنّه بعده أصبح كلّ من أتباع منهج الفقه والتدبّر، وكذلك المنهج السلفي، ينتسبون إليه ويعدّونه إمامًا لهم.*

---

* لقد قام الإمام شاه ولي الله الدهلوي بالجهد نفسه في مجال التصوّف أيضًا، إذ سعى إلى الجمع بين مفهومي "وحدة الوجود" و"وحدة الشهود"، موضّحًا في "المكتوب المدني" أنّ هذين التصوّرين في جوهرهما تعبيران عن حقيقة واحدة، وأنّ الاختلاف بينهما إنما هو في الأسلوب والبيان، لا في المعنى والمضمون.

الأستاذ السيد منظور الحسن

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]

(الحلقة الحادي عشر)

القرآن و إشكالية نزول المسيح عند غامدي

ويذكر القرآن الكريم عيسى (عليه السلام) في أمكنة كثيرة ومقامات متعددة. فقد جاء ذكره في عدة أماكن في ١٣ سورة مختلفة. تتحدث عن جوانب مختلفة من شخصيته ومواقف حياته المختلفة. فهو يذكر عائلته، ويعرّف بشخصية أمه المقدسة السيدة مريم (عليها السلام)، ويصف الظروف التي سبقت ولادته، ويفصّل ولادته الاستثنائية، ويلخص حياته كلها من ولادته إلى رفعه إلى الله، ويحكي قصة دعوته وردة فعل من وجهها إليه، ويشير إلى معجزاته العظيمة، ويذكر موته، ويروي سلوك اليهود والنصارى بعد موته، بل ويسجل حواره مع الله تعالى في المستقبل البعيد أي يوم القيامة، الذي وصفت فيه دوره في العالم. كل هذه الأمور موصوفة في القرآن بكل وضوح، ولكن الحدث الأهم في حياته، بل وفي تاريخ البشرية – وهو أنه سينزل مرة ثانية مباشرةً من السماء بعد قرون من موته وصعوده إلى الله – لم يتم ذكره في القرآن.

الإشكالية الأولى

عدم ذكر نزول المسيح في القرآن الكريم رغم مناسبات ذكره كل الأحداث المهمة المتعلقة بعيسى (عليه السلام) مذكورة في القرآن الكريم. ومنها أحداث

ما قبل الولادة، وما عند الولادة، وما بعد الولادة، وما وقائع عند الموت، وما بعد الموت، وما سوف يحدث يوم القيامة. ومن الجدير بالذكر أن هذه الأحداث مذكورة، ولكن لم يتم ذكر حدث واحد مهم جداً ضمنها. ومن أجل فهم هذه القضية، هناك بعض الأماكن النموذجية في هذا الصدد على النحو التالي:

(أ) تتحدث الآيات ٤٥-٤٧ من سورة آل عمران عن أهم الجوانب التي حدثت قبل ميلاد النبي عيسى (عليه السلام). والتي تستوعب أموراوأحوالا مستقليةً له كماياتي:

- بشر الله مريم بميلاد المسيح عيسى قبل أن تحمل.
- عرفه الله بكلمته وسماه عيسى.
- أخبر الله أن المسيح سيتكلم عن نبوته في المهد.
- عندما يكبر، سيتم عده وحسابه من الصالحين.

والآيات هي كاالتالي:

اِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ اِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ۖ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيْهًا فِى الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَّمِنَ الصّٰلِحِيْنَ قَالَتْ رَبِّ اَنّٰى يَكُوْنُ لِىْ وَلَدٌ وَّلَمْ يَمْسَسْنِىْ بَشَرٌ ۗ قَالَ كَذٰلِكِ اللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۗ اِذَا قَضٰٓى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ.

(آل عمران٣: ٤٥-٤٧)

وفي النص هنا مجال واسع لبيان أن الله تعالى لو شاء لذكر نزول المسيح. فإن هذا بيان ما قبل خلقه. ويذكر مولده العجيب الخارق للعادة ونجاحه في الدنيا والآخرة.

(ب) وكما في الآية ٥٩ من سورة آل عمران أيضاً ورد عن النبي عيسى (عليه السلام) أن مثله كمثل النبي آدم، أي كما قد خلق آدم بكلمة الله (كن) من قبل فكذلك خلق عيسى (عليه السلام). والمقصود من هذا أن نبين أنه إذا لم يكن آدم عليه السلام قد خلق من طين بأمر الله فيصبح إلها، فكيف يكون عيسى المسيح قد خلق بأمره فيصبح مستحقا للعبادة؟ فجاء في القرآن:

اِنَّ مَثَلَ عِيْسٰى عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ اٰدَمَ ۗ خَلَقَهٗ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ.

(آل عمران٣: ٥٩)

وهذا المكان في الواقع هو وصف للاستثناء الإبداعي الذي حققته شخصيتان

في تاريخ البشرية، سيدنا آدم وسيدنا عيسى (عليهما السلام). وكلاهما ولدا بأمر مباشر من الله.[1]

فقد جاء آدم عليه السلام إلى الوجود بكلمة (كن) في التراب، وولد عيسى عليه السلام بإلقاء كلمة (كن) على مريم، فإذا كان الله تعالى قد وصف هذا الحدث الاستثنائي فلماذا لم يصف حدثاً استثنائياً من نفس المستوى، وهو أن ينزل عيسى المسيح من السماء مباشرة كالاستثناء الوحيد بين البشر؟

(ج) الآيات ٤٨-٥١ من سورة آل عمران (٣) تصف عمل النبي عيسى (عليه السلام) قبل ولادته. وفي هذا الصدد تم ذكر المعجزات التي أنعم الله عليه بها أيضًا. وقد قيل ذلك. الآيات ٤٨-٥١ من سورة آل عمران (٣) تصف عمل النبي عيسى (عليه السلام) قبل ولادته. وفي هذا الصدد تم ذكر المعجزات التي أنعم الله عليه بها أيضًا وقيل:

- يعلمه الله الكتاب والحكمة، أي يعلمه التوراة والإنجيل.
- يُرسَل رسولاً إلى بني إسرائيل.
- يصنع من الطين تمثالاً لطائر ثم ينفخ فيه فيصير طائراً حياً.
- يعيد البصر إلى من وُلد أعمى، ويشفي من يعانون من مرض الجذام الذي لا شفاء منه.
- يعيد الموتى إلى الحياة.
- إنه يصدق التوراة.
- ويحل ما حرم عليهم.

والآيات هي كالتالي:

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ وَرَسُوْلًا اِلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ ۙ اَنِّيْ قَدْ جِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ ۙ اَنِّيْٓ اَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّيْنِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَاَنْفُخُ فِيْهِ فَيَكُوْنُ طَيْرًاۢ بِاِذْنِ اللّٰهِ ۚ وَاُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ وَاُحْيِ الْمَوْتٰى بِاِذْنِ اللّٰهِ ۚ وَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَاْكُلُوْنَ وَمَا تَدَّخِرُوْنَ ۙ فِيْ بُيُوْتِكُمْ ۭ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرٰىةِ وَلِاُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِيْ حُرِّمَ

[1] جاء ذلك صراحة في الآية ٤٨ من سورة آل عمران.

عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطِيْعُوْنِ اِنَّ اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ ۗ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ.

كل ما يجب على عيسى المسيح (عليه السلام) أن يفعله نيابة عن الله قد ذكر هنا .أي أن هذه هي واجباته أمام الله، ومكونات دوره الدنيوي. إن نزول المسيح هو أيضاً عمل من عند الله، وهو تنفيذ لبعض قرارات الله المهمة قبل يوم القيامة. ويؤدي غيابها عن هذه القائمة أيضًا إلى خلق مشاكل.

(د) إن ولادة عيسى عليه السلام من بطن مريم عليها السلام من دون أب حدث خارق للعادة. وكان ذلك بأمر مباشر من الله تعالى. ولذلك جعل الله تعالى مريم وابن مريم آيتين. وقد جاء في سورة المؤمنين: وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ اُمَّهٗۤ اٰيَةً .... (٢٣: ٥٠) كما عبربهما في سورة الأنبياء'اٰيَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ وقال: وَالَّتِيْۤ اَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيْهَا مِنْ رُّوْحِنَا وَ جَعَلْنٰهَا وَ ابْنَهَاۤ اٰيَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ(٢١: ٩١).

ولذلك يتبين من سورة مريم أن ولادة عيسى المسيح من غير أب كانت حدثاً خارقاً للطبيعة، أنزله الله تعالى آية من آياته. ومن أجل ذلك خرج الله تعالى عن قانون الخلق العام فأنزل أمره مباشرة وأقره كجنين في بطن أمه بكلمته (كن) ونفخ فيه من روحه. ستبقى هذه العلامة بارزةً إلى الأبد كدليل على خلق البشرية وتجددها. فقال تعالى:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا.

ومن الآية السابقة يتبين أن سيدنا عيسى عليه السلام كان آية من آيات الله. جعل الله شخصيته وصفاته آيات للناس. السؤال هو، إذا كان القرآن قد وصف جميع جوانب وجوده كآية إلهية، فلماذا لم يصف الجانب الخارق للطبيعة من نزوله، مع أن نزوله في معنى هو آية أعظم من خلقه .يمكن إنكار مولده الخارق للعادة بشكل افترائي، وقد تم إنكاره بالفعل، ولكن حقيقة أن رجلاً من العصور القديمة نزل مباشرة من السماء أمام أعين الناس بعد ألفي عام هو حدث

لا يمكن إنكاره. ولذلك فمن الواجب المنطقي أن يذكر نزوله كالشهادة العظيمة بأن يسوع المسيح آية من آيات الله مع بقية الأدلة. وإذا لم يذكر ذلك فإنه ممايعقل أيضاً أن يثار الشك في وقوعه.

خامساً: وقد جاء تفصيل ميلاد المسيح عليه السلام وكلامه في المهد في الآيات ٢٢-٣٣ من سورة مريم (١٩). لقد كان كلا الحدثين غير عاديين للغاية في حياته وفريدين تمامًا في تاريخ البشرية. وقد جاء في سورة مريم أن السيدة مريم حملته بأمر الله فخرجت به من بلدها. ثم لما جاء وقت المخاض والولادة جاء ملاك الله يعزيها ويعطيها عين ماء. ثم أمرها أن تأخذ المولود وترجع إلى قومها. وإذا طرحوا أي سؤال أو اعتراض، فيجب عليها الإشارة إلى أنها قد التزمت بالصمت .فعادت. ولما رأوا الطفل معها بدأ الناس يشككون في عفتها، فأشارت إلى الطفل . أن كلموه فقال الناس: كيف نسأله وهو مولود جديد لم يبلغ سن النطق؟ وعندها بدأ الطفل يتكلم .فقال:

•إنه عبد الله

•لقد آتاه الله الكتاب والنبوة

•ولذا فقد أصبح مصدرًا للخير والبركات.

•جعله الله طائعاً لأمه.وبراً بها

•ولم يجعله الله شقياً متمرداً.

• وأوصاه الله تعالى بأن:

(أ) يستمر في الصلاة(ب) الاستمرار في إخراج الزكاة .

(ج) -لقد بشر الله بالسلام في ثلاث مناسبات من حياته وموته :أ. اليوم الذي ولد فيه .ب. اليوم الذي يموت فيه .ج. ويوم يبعث حياً.

ويقول القرآن في كل ذلك:

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهٖ مَكَانًا قَصِيًّا فَاَجَآءَهَا الْمَخَاضُ اِلٰى جِذْعِ النَّخْلَةِ ۚ قَالَتْ يٰلَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَّنْسِيًّا فَنَادٰىهَا مِنْ تَحْتِهَآ اَلَّا تَحْزَنِيْ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّيْٓ اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِيْ وَاشْرَبِيْ وَقَرِّيْ عَيْنًا ۚ فَاِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ اَحَدًا ۙ فَقُوْلِيْٓ اِنِّيْ نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا فَلَنْ اُكَلِّمَ الْيَوْمَ اِنْسِيًّا فَاَتَتْ بِهٖ قَوْمَهَا تَحْمِلُهٗ ۭ قَالُوْا يٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا

يٰٓأُخۡتَ هٰرُوۡنَ مَا كَانَ اَبُوۡكِ امۡرَاَ سَوۡءٍ وَّمَا كَانَتۡ اُمُّكِ بَغِيًّا فَاَشَارَتۡ اِلَيۡهِ‌ؕ قَالُوۡا كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَنۡ كَانَ فِى الۡمَهۡدِ صَبِيًّا قَالَ اِنِّىۡ عَبۡدُ اللّٰهِ‌ؕ اٰتٰنِىَ الۡكِتٰبَ وَجَعَلَنِىۡ نَبِيًّا ۙ وَّجَعَلَنِىۡ مُبٰرَكًا اَيۡنَ مَا كُنۡتُ ۖ وَاَوۡصٰنِىۡ بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ۙ وَّبَرًّا ۢ بِوَالِدَتِىۡ ۖ وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِىۡ جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلٰمُ عَلَىَّ يَوۡمَ وُلِدۡتُّ وَيَوۡمَ اَمُوۡتُ وَيَوۡمَ اُبۡعَثُ حَيًّا (مريم ١٩: ٢٢-٣٣)

والجزء الأخير من كلام عيسى عليه السلام في المهد، الذي تناولته الآيات السابقة من سورة مريم، يحمل دلالة خاصة بالنظر إلى الموضوع الذي نحن بصدده (للبحث صلة ...)

القرآنيات

البيان[1]

جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البقرة

(١١)

وَقَالُوْا لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ اِلَّا مَنْ كَانَ هُوْدًا اَوْ نَصٰرٰى ؕ تِلْكَ اَمَانِيُّهُمْ ؕ قُلْ هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١١١﴾ بَلٰى ۚ مَنْ اَسْلَمَ وَجْهَهٗ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهٗۤ اَجْرُهٗ عِنْدَ رَبِّهٖ ۪ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ لَيْسَتِ النَّصٰرٰى عَلٰى شَيْءٍ ۪ وَّقَالَتِ النَّصٰرٰى لَيْسَتِ الْيَهُوْدُ عَلٰى شَيْءٍ ۙ وَّهُمْ يَتْلُوْنَ الْكِتٰبَ ؕ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ ﴿١١٣﴾

وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسٰجِدَ اللّٰهِ اَنْ يُّذْكَرَ فِيْهَا اسْمُهٗ وَسَعٰى فِيْ خَرَابِهَا ؕ اُولٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ اَنْ يَّدْخُلُوْهَاۤ اِلَّا خَآئِفِيْنَ ؕ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَّلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَاَيْنَمَا تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ ؕ اِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ ﴿١١٥﴾

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهٗ ؕ بَلْ لَّهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ؕ كُلٌّ لَّهٗ قٰنِتُوْنَ ﴿١١٦﴾

يقولون إنه لن يتمكن أحد من دخول الجنة إلا إذا كان يهوديًا أو مسيحيًا. هذه مجرد تطلعات تمنّوها. قل لهم: قدّموا أي حجتكم (على ذلك) إذا كنتم صادقين. (لا حقيقة في قولهم هذا) نعم، من المؤكد أن الذين سلّموا وجودهم لله

---

[1] ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسير "البيان" للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقلها إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي.

وهم فاعلون الخير بإحسان، فلهم أجرهم محفوظ عند ربهم، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون. (وخارج جماعتهم لا يعتقدون أحداً على الحق، لذلك) يقول اليهود إن المسيحيين لا أساس لهم، ويقول المسيحيون إن اليهود لا أساس لهم، على الرغم من أن كلاهما يقرءآن كتاب الله. ونفس الشيء قاله الذين ليس لديهم علم ولا معرفة (بكتاب الله). فلذا يحكم الله بينهما يوم القيامة في الأمر الذي يتشاجران فيه. (١١١- ١١٣)

(وبسبب خلافاتهم هذه، كانوا يخربون معابد وأماكن عبادة بعضهم البعض. ومن هو أكثر ظلما ممن منع في مساجد الله ومعابده أن يذكر اسمه هناك، ومن يطلب خرابها؟ لم يكن هناك خير لهم سوى الذهاب إليها (المعابد) والذهاب في خوف من الله. (ولكن الآن تمردوا ولذا) هناك عار عليهم في العالم وخزي وعقاب عظيم ينتظرهم في يوم القيامة. (وكان هذا لأن بعضهم جعل الشرق قبلته وبعضهم جعل الغرب والحقيقة أن الشرق والغرب كله لله. لذلك أينما توجهتم (بأمر الله)، فثم وجه الله. لا شك أن الله واسع القدرة وهو يعلم كل شيء.(١١٤- ١١٥)

(ليس هذا فقط، فقد انحط هؤلاء المدعون بخلاصهم لدرجة سافلة) أنهم قالوا إن الله له أبناء. سبحانه ولا ريب في أنه طاهر من هذه الأشياء، ولكن له كل ما في الأرض ومافي السماوات. (١١٦)

(يتبع ...)

الأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي
عرض واقتباس: إدارة التحرير

لمسات بيانية في آية الكرسي

(الحلقة الأولى)

اَللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

آية الكرسي هي سيّدة آي القرآن الكريم. بدأت الآية بالتوحيد ونفي الشرك وهو المطلب الأول للعقيدة عن طريق الإخبار عن الله. بدأ الإخبار عن الذات الإلهية ونلاحظ أن كل جملة في هذه الآية تصبح أن تكون خبراً للمبتدأ) الله (لأن كل جملة فيها ضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى: الله لا تأخذه سنة ولا نوم، الله له ما في السموات وما في الأرض، الله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، الله يعلم مابين أيديهم وما خلفهم، الله لا يحيطون بعلمه إلا بما شاء، الله وسع كرسيّه السموات والأرض، الله لا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

(قوله) اَللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ: (الحيّ معرفة والقيّوم معرفة. والحيّ هو الكامل الإتصاف بالحياة ولم يقل حيّ لأنها تفيد أنه من جملة الأحياء. فالتعريف بـ ال (هي دلالة على الكمال والقصر لأن ما سواه يصيبه الموت. والتعريف قد يأتي بالكمال والقصر، فالله له الكمال في الحياة والقصرلأن كل من عداه وكل ما عداه يجوز عليه الموت وهو الذي يفيض على الخلق بالحياة. فالله هو الحيّ لا حيّ سواه على الحقيقة لأن من سواه يجوز عليه الموت.

القيّوم: من صيغ المبالغة) على وزن فيعال وفيعول من صيغ المبالغة وهي ليست من الأوزان المشهورة (هي صيغة المبالغة من القيام ومن معانيها القائم في تدبير أمر خلقه في إنشائهم وتدبيرهم، ومن معانيها القائم على كل شيء، ومن معانيها الذي لا ينعس ولا ينام لأنه إذا نعس أو نام لا يكون قيّوماً ومن معانيها القائم بذاته وهو القيّوم جاء بصيغة التعريف لأنه لا قيّوم سواه على الأرض حصراً.

(قوله) لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ):

سِنة هي النعاس الذي يتقدم النوم ولهذا جاءت في ترتيب الآية قبل النوم وهذا ما يعرف بتقديم السبق، فهو سبحانه لا يأخذه نعاس أو ما يتقدم النوم من الفتور أو النوم. المتعارف عليه أن يأتي النعاس أولا ثم ينام الإنسان. ولم يقل سبحانه لا) تأخذه سنة ونوم (أو)سنة أو نوم (ففي قوله سنة ولا نوم ينفيهما سواءً اجتمعا أو افترقا لكن لو قال سبحانه سنة ونوم فإنه ينفي الجمع ولا ينفي الإفراد فقد تأخذه سنة دون النوم أو يأخذه النوم دون السنة.

(قوله) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ (دلالة) ما: (ما تفيد ذوات غير العاقل وصفات العقلاء، إذن لمّا قال) له ما (جمع العقلاء وغيرهم ولو قال) من (لخصّ العقلاء). ما(أشمل وعلى سبيل الإحاطة. قال) ما في السموات وما في الأرض (أولاً بقصد الإحاطة والشمول، وثانياً قدّم الجار والمجرور على المبتدأ) له ما في السموات (إفادة القصر أن ذلك له حصراً لا شريك له في الملك) ما في السموات والأرض ملكه حصراُ قصراً فنفى الشرك . (وجاء ترتيب) له ما في السموات وما في الأرض (بعد) الحيّ القيّوم (له دلالة خاصة: يدلّ على أنه قيوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره وهناك فرق بين من يقوم على ملكه ومن يقوم على ملك غيره فهذا الأخير قد يغفل عن ملك غيره أما الذي يقوم على ملكه لا يغفل ولا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه. فله كمال القيومية. وفي قوله)له ما في السموات وما في الأرض (تفيد التخصيص فهو لا يترك شيئاً في السموات والأرض إلا هو قائم عليه سبحانه.

قوله (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

دلالة واضحة على تبيان ملكوت الله وكبريائه وأن أحداً لا يملك أن يتكلم إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بإذنه مصداقاً لقوله تعالى) :لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن

وقال صوابا (هذا الجزء من الآية والجزء الذي قبلها) له ما في السموات وما في الأرض (يدل على ملكه وحكمه في الدنيا والآخرة لأنه لمّا قال) له ما في السموات وما في الأرض (يشمل ما في الدنيا وفي قوله) لمن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (هذا في الآخرة فدلّ هذا على ملكوته في الدنيا والآخرة وأخرجه مخرج الإستفهام الإنكاري لأنه أقوى من النفي. فدلّ هذا على أنه حيّ قيّوم كيف؟ لأن الذي يَستشفع عنده حيّ والذي لا يستطيع أحد أن يتقدم إلا بإذنه يجعله قائم بأمر خلقه وكلها تؤكد معنى أنه الحيّ القيّوم.

مَن ذا: فيها احتمالين كما يذكر أهل النحو: فقد تكون كلمة واحدة بمعنى) من (استفهامية لكن) من ذا (أقوى من) مَن (لزيادة مبناها) يقال في النحو: زيادة المبنى زيادة في المعنى (فقد نقول من حضر، ومن ذا حضر؟

لماذا الإختلاف في التعبير في قصة إبراهيم في سورة الصافات) ماذا تعبدون (وفي سورة الشعراء) ما تعبدون؟ (في الأولى استعمال) ماذا (أقوى لأن إبراهيم لم يكن ينتظر جواباً من قومه فجاءت الآية بعدها) فما ظنكم برب العالمين (أما في الشعراء فالسياق سياق حوار فجاء الرد) قالوا نعبد أصناماً . (إذن) من ذا (و) ماذا (أقوى من) مَن (و) ما).

(مَن ذا (قد تكون كلمتان)من (مع اسم الإشارة ذا)من هذا (يقال: من ذا الواقف؟ من الواقف؟ ومن هذا الواقف؟ فمن ذا الذي (تأتي بالمعنيين)من الذي (و) من هذا الذي (باعتبار ذا اسم إشارة فجمع المعنيين معاً. في سورة الملك قوله) :أمّن هذا الذي هو جند لكم (هذا مكون من) ه (للتنبيه والتوكيد و) ذا (اسم الإشارة وكذلك) هؤلاء (هي عبارة عن)ه (و) أولاء . (فالهاء تفيد التنبيه والتوكيد فإذا كان الأمر لا يدعو إليها لا يأتي بها فلنستعرض سياق الآيات في سورة الملك مقابل آية الكرسي: آيات سورة الملك في مقام تحدّي فهو أشد وأقوى من سياق آية الكرسي لأن آية سورة الملك هي في خطاب الكافرين أما آية الكرسي فهي في سياق المؤمنين ومقامها في الشفاعة والشفيع هو طالب حاجة يرجو قضاءها ويعلم أن الأمر ليس بيده وإنما بيد من هو أعلى منه. أما آية سورة الملك فهي في مقام الندّ وليس مقام شفاعة ولذلك جاء بـ) ه (التنبيه للإستخفاف بالشخص الذي ينصر من دون الرحمن) من هو الذي ينصر من دون الرحمن (وهذا ليس مقام آية

الكرسي. والأمر الآخر أن التعبير في آية الكرسي اكتسب معنيين: قوة الإستفهام والإشارة بينما آية الملك دلت على الإشارة فقط ولو قال من الذي لفاتت قوة الإشارة. ولا يوجد تعبير آخر أقوى من) من ذا (لكسب المعنيين قوة الإستفهام والإشارة معاً بمعنى) من الذي يشفع ومن هذا الذي يشفع).

قوله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)

يعلم ما أمامهم مستقبلاً وما وراءهم والمقصود إحاطة علمه بأمورهم الماضية والمستقبلية ويعلم أحوال الشافع الذي يشفع ودافعه ولماذا طلب الشفاعة ويعلم المشفوع له وهل يستحق استجابة الطلب هذا عام فهذه الدلالة الأولية.

في سورة مريم قال تعالى) :له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك (فما الحكمة أنها لم ترد على هذا الأسلوب في آية الكرسي؟ في سورة مريم سياق الآيات عن الملك) ولهم رزقهم فيها، تلك الجنة التي نورث من عبادنا، رب السموات والأرض (الذي يرزق هو الذي يورّث فهو مالك وقوله رب السموات فهو مالكهم) أما في سورة آية الكرسي فالسياق عن العلم) يعلم ما بين أيدينا (وبعد هذه الجملة يأتي قوله) ولا يحيطون بعلمه إلا بما شاء (أي أن السياق في العلم لذا كان أنسب أن تأتي)يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا (وهذه الجملة هي كما سبق توطئة لما سيأتي بعدها.

(يتبع...)

المعارف النبوية

الأحاديث

انتقاها: جاويد أحمد غامدي

١

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: انكسفَتِ الشمسُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فصلّى رسولُ الله ﷺ بالناس، حتى إذا انجلتِ الشمسُ فرغ من صلاته، فخطب الناس، فقال: "إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله، لا ينكسفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله. فقالوا: يا رسولَ الله، رأيناك في مقامك كأنك تناولتَ شيئًا، ثم رأيناك كأنك تأخرتَ؟ فقال ﷺ: إني رأيتُ الجنةَ فتناولتُ منها عُنقودًا، ولو أخذتُه لأكلتُم منه ما بقيتِ الدنيا. ثم رأيتُ النارَ، فما رأيتُ منظَرًا قطّ أفظعَ منها، ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساء. قالوا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: لأنهنّ يكفُرن قيل: أَيَكفُرنَ بالله؟ قال: يَكفُرنَ العشيرَ، ويَكفُرنَ الإحسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ كلَّه، ثم رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قط. (الموطأ للإمام مالك، رقم ٤٤١)

٢

روى جابر رضي الله عنه قال: حضرتُ صلاةَ العيد مع النبي ﷺ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، من غير أذانٍ ولا إقامة. ثم اعتمد على بلال رضي الله عنه، فقام يخطب الناس، فوعظهم وذكّرهم، وأمرهم بتقوى الله، وحثّهم على طاعته. ثم مضى إلى جهة النساء، فوعظهنّ وذكّرهنّ كذلك، وقال لهنّ: تَصَدَّقْنَ، فإنّ أكثركُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ. فقامت امرأةٌ منهنّ، قد كانت خدّاها مُسْفَرَيْنِ مُحْمَرَّيْنِ، فقالت: ولمَ يا رسول الله؟ قال ﷺ: لأنكنّ تُكْثِرْنَ الشَّكْوَى، وتَكْفُرْنَ العَشِيرَ. قال جابر: فَجَعَلَتِ النساءُ يُلْقِينَ خُرُصَهُنَّ وَخَوَاتِمَهُنَّ في ثوبِ كان بلال رضي الله عنه قد بَسَطَهُ ليتصدّقنَ فيه. (رواه مسلم، رقم ١٤٧٣)

٣

روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يوم عيد الأضحى أو عيد الفطر إلى المصلّى، فمرّ على النساء فقال: يا معشر النساء، تصدّقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار. فقالت امرأة منهن، وكانت جزلة (أي عاقلة فصيحة): يا رسول الله، وما لنا أكثر أهل النار؟ قال ﷺ: تُكثِرن اللعن، وتكفُرن العشير، وما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ للبِّ الرجل الحازم من إحداكنّ فقلن: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن: «بلى». قال: «فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تَصُم؟» قلن: «بلى». قال: «فذلك من نقصان دينها.

(رواه البخاري، رقم ٢٩٦)

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

مقامات

(الحلقة العاشرة)

أمين أحسن

ولكن يوجد أحيانا عارف السر من بين مشيخة الطريقة أيضا. ومثل ذلك أن الشيخ محمد منظور نعماني زار لاهور فقال له أمين احسن: إن زوجتي تقول: إنني لا افهم ما تقول في كتاباتك ولكن أفهم جيدا بما يكتب الشيخ النعماني فأجاب النعماني: يا مولانا! نحن نكتب لهم وأنت تكتب لنا. وإذا تم إكمال "تدبر القرآن" فأخبر الشيخ النعماني عن رؤيا رآه أنه جاء يزور أمين احسن وفي بيته قد تم طباخ قدر "مزعفر" (طعام خاص يصنع في الهند) تنبعث منها الرياح الطيبة. وكتب النعماني إليه أنه يعبر رؤياه "بإكمال تدبر القرآن".

وكان شخصاً وجيها جميلا يتمتع بحسن الذوق وإناقة اللباس مع كل السذاجة في المجالسة والتعايش. وقد أخبرني زميله القديم أنه قد أرسل إلى ميانوالى من قبل "الجماعة" وكنت زميلاً في سفره ولما توقفت الباصة على محطة سرگودها قال لي: إنه يصلح أن يؤكل الدهن دهنا لا سمنا فاذهب وأتنا ببعض الأخباز والفطائر.

ولم يكن ملكا بل انسانا ولذا يوجد فيه بعض النقائص أيضا بالطبع ولكن لم يفتن قط برفع معيار الحياة. وكان له علاقة بالله تعالى علاقة التفويض والتوكل عليه مما يبعث على الغبطة. ويكون لسانه رطباً بذكر الله. وتشرف بأداء فريضة

الحج مع الشيخ عبدالرحيم أشرف والذي قال عنه مرة إنه حين وصل إلى بيت الله الحرام تعلق به كل العلاقة وانقطع إلى الله كل الانقطاع راغبا عن كل شئ.

واطمئن إلى رضا الله سبحانه في سائر الاوضاع الحارة والقارة. وأصيب بفاجعة موت ولده الشاب الصالح مثل "أبي صالح" في كارثة حدثت في القاهرة بمصر فنشر ما طرأ عليه من العواطف في مجلة "الميثاق" ولكن لم ينطق لسانه بكلمة جزع وفزع. وفي أخير أيامه قضى عامين أخيرين في حالة التعذر والاحتياج والمعاناة مالم يكن سهلا ولكن في هذه الحالة أيضا لم يقل إلا "أنه لا معاناة في الدنيا إذا لم تكن في الآخرة."

وكان يتمتع بكرائم الأخلاق من الغيرة والوقار والتمكنة والاستغناء الكبير فقد سأله الجنرال أيوب خان في حين رئاسته: يا شيخ أي خدمة أقوم لك؟ فأجاب: ماذا أرجو منك أن تقوم به أفسره في افتتاحيات "ميثاق" فاعمل به. فهذا هو خدمة كبرى لي. وقد أرسل إليه رئيس الوزراء بوتو أن الحكومة تريد أن تخدمك خدمة ما فأجاب: كنت قلت في حق المرتزقين بالحكومة بأنهم "بايعوا الملة" والآن اعمل بنفسي هذا العمل؟ وكذلك سعى الجنرال ضياء الحق للارتباط به فانما قال له فقط أنه يكفي لك أن ترسل كل ما كتبته من كتابات إلى المكتبات. فكان في كل تحركاته ونشاطاته ينادي نداءً:

أنت تتكدر بسبب نغمات شوقي، تجد فيها رموز الفقر وغناء الملوك

غير أنه كان متواضعا عطوفاً للأصدقاء والأصحاب. ففي أيام كان مقيما في رحمن آباد جئت أزوره فأقمت الليلة عنده فأحسست أن هناك شخص على قليل من البعد يملأ دلوا من صنبورة الماء اليدوية ثم يفرغه. وما كنت أظنه أنه يكون أمين أحسن. ثم جاءني بعد برهة قليلة عند سريريتى وقال: أنا أخرجت الماء الطريئ فقم وتوضأ فلم اتفطن ما أقول وماذا أفعل.

وكان في صدقه وصراحته وصرامته في مكانة يطلق عليها تعبير "الخطير" إذا وزن في معيار رعاية المصالح. فكان يصارح ما كان يرى بدون أدنى تردد ولا يحتمل مضادة الفكر والعمل أيما احتمال في أي حال. كان حبه بلا نهاية ولكن كما كان حبه يتفجر من عمق إخلاصه كان كذلك منفجراً بغم وحزن ولا يشوبه شائبة البغض والعداوة والمكر كأنه كما قال الشاعر الاردي:

إن قهره أيضا يكون عطفا على عباد الله.

إلى أين انتهى من كتابة أقاصيصه؟ اليوم حينما أحاول تصوير عكسه في الألفاظ أواجه عجز البيان وأفكر كثيراً أن شرف اللقاء والتلمذ لخمسة وعشرين على أقل حد،الذي حصلت عليه فيا ليتني حصل لشخص آخر قدير على اللغة والبيان مثل قدرة أمين أحسن عليهما. فهذا من سوء الزمان أن نادرة الزمان كمثله لم يتوفر له للتعريف به إلا مثلي الذي لايقدر على بيان ولا كتابة، والذي مثله كما وصف الشاعر الفارسي:

لا تأتي له الألفاظ على لسانه ولكن الحديث عنه باقي

ولم يكن عالما دينيا فقط بل كان له نظرة ثاقبة على قضايا الدستور والقانون والسياسة الحاضرة إلى حد أن الباحثين البارعين يستطيعون أن يتعلموا منه الكثير عن هذه الأمور. فكان له أسلوب خاص للنظر في هذه القضايا وكان مختلفا جدا عن أهل زمانه. مثلاً إذا أُعلن إعدام ذى الفقار على بوتو فالحلقات الدينية عموماً أعربوا عن طمأنينة. وزرته في اليوم المقبل في رحمان آباد فوجدته مغموماً عليه مضطربا. فسألته عن سبب ذلك فسكت برهة قليلة ثم قال:

"أي تعاطف يكون لي مع الزعيم الوطني كبوتو ولكن الحمقاء الذين اختاروا هذا الطريق لإعدام زعيم وطني لايعرفون أنهم بسبب ذلك قد وضعوا أساساً للعناد المستقل في سياسة هذا البلد."

كما كان يفهم جيدا مضمرات ما كان يحدث في افغانستان في البداية ينظرها الناس اليوم بأم أعينهم. وكذلك كان يرى أمور واتجاهات الحركات السياسية الإسلامية في تركيا ومصر والشام والجزائر بنظرة لعل زعماءنا الدينين سوف ينظرونها بها حين يغرق الكثير ولا مناص للاعتذار. فإن الموقف الذي اتخذه حين غادر الجماعة الإسلامية لايحتاج الآن لصحته إلى بحث واستدلال فإصابته ثبت بعمل المكابرين له من بين مستشاري المودودي اليوم. فإننا قد نظرنا بأعيينا وسمعنا بآذاننا أنهم يقولون لأميرهم بنفس الشيئ الذي قد قال أمين أحسن "للأمير المؤمنين لهم في تلك الأيام قبل أعوام كثيرة.

وكان إنسانا حيا يرى معضلات الحياة كما يراها إنسان حيي متيقظ. ومرتبته الكثيرة العلمية لا تجوز له أن يكون له شغف بالألعاب ولكن كان محب الوطن

حبا زايداً أنه إذا كانت هناك مباراة الكركيت بين الهند وباكستان. فكان يسأل كثيرا عن النتيجة وما يطمئن إلا حين يستيقن أن باكستان قد أحرز النجاح، وكان يمدح مدحا كثيرا شعراء أرديين أمثال غالب وإقبال وشبلي، يكرر شعرهم في أكثر الأحايين وكان في طبعه مزحة ومرح، إذا ذكر علالته ذكر بلهجة وأسلوب مرح أن تبتسم الوجوه.

وكان يتعرض كثيراً للحماقات التي ترتكبها الجماعات الدينية فإذا ذكر ذلك في مجلس فلا تسئل عن حديثه الباسم عنها فكان يوجد معاني مليحة وتعريضية من كل لفظة ينطق بها أن المستمع إليه إذا كان صاحب الذوق الكلامي أعجب به إعجاباً كبيراً. وكان من خلانه القدماء صديق وزعيم ديني وصدر منه بعض الحماقات فعلق عليه بأساليب جديدة ممتعة جداً إن لم يكن هناك خوف لفساد واضطراب خلق لذكرت ذلك الآن ويرى الناس ما متعته القدرة الإلهية من مقدرة على ربط اللفظ بالمعنى وبأعلى درجة من الكمال في ذلك فإنه ذهب من الدنيا والواقع أنه على حد قول الشاعر

قد سكتت الخضراء المتحدثة.

والشاعر حالي كان تلميذاً لغالب رثاه على موته وختم رثاءه بأبيات شعر، حملها الناس غالباً في ذلك الزمان على حسن اعتقاد حالي بغالب، ولكن قد أثبت التاريخ والوقت أن غالب كان هو الذي رأه حالي بعينيه، كذلك شهدت الكثير من العلماء وقرأت الكثير واستمعت إلى الكثير منهم ولكن كان أمر أمين احسن واستاذه حميد الدين الفراهي كما قاله حالي

وأنى لهم من غالب عارف بالنكت وأنى لأرض بالسماء

(١٩٩٧م)

(للحديث صلة ...)

ميزان
جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

ميزان

(الحلقة العاشرة)

مبادئ تدبر الحديث

إن الروايات لقول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره وتصويبه، التي انتقلت إلينا في أكثر الأحايين على طريقة الأخبار الأحادية، والتي اصطلح عليها بالحديث، فشيء واحد عنها واضح جدًا أنها لا تضيف إلى الدين عقيدة وعملًا. كما أننا صرحنا في بداية كلامنا صراحة كاملة أن ذلك لا يأتي في دائرة الحديث أن يصير مأخذ الحكم الجديد في الدين. ومع ذلك فهذه أيضًا حقيقة أن الحديث هو المصدر المهم والأكبر لمعرفة سيرة النبي وأسوته الحسنة وتفهيمه للدين وتبيينه له. فللحديث إذًا مكانة كبيرة لا يستغني عنه طالب للدين ولهذه المكانة الكبرى للحديث لا بد لنا من بيان قواعد وأصول لله فيه أيضًا بعد القرآن والسنة. فأولًا لنأخذ أصولًا وقواعد يجب مراعاتها في رد وقبول أي حديث:

سند الحديث

إن الذي يوصل شيئًا إلى درجة الحديث بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو سند ذلك الشيء، فعدالة الرواة وضبطهم واتصال سلسلة الرواية ثلاثة أشياء يجب أن ينظر فيها بدقة نظر في ضوء تلك المواد التي، قد وفرها أيمة الرجال بجهد

كبير في هذا الباب مع مراعاة علل الإسناد. نعم عدالة الصحابة مستثناة في ذلك لا الله تعالى بنفسه قد شهد لهم ووثقهم في كتابه: (انظر الآية رقم ١١ من سورة آل عمران) هذا المعيار لتحقيق إسناد الحديث قد أقامه المحدثون وهو قطعي لدرجة أنه لا يمكن الاختزال ولا الزيادة فيه.

ولأن الرواية لكلام مشتبه منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبعث على النتائج الخطرة في الدنيا والآخرة، ولذا أصبح من الضروري اللازم أن يطلق هذا المعيار على كل رواية متصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتم ذلك بطريقة محتمة للغاية دون أي تنازلات، وتقبل فقط تلك الروايات التي يصدقها ذلك المعيار من كل جهة. ولا يقبل دون ذلك شيء منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإن خرجه كبار الأئمة في أمهات كتب الحديث البخاري ومسلم والموطأ للإمام مالك وغيرها.

متن الحديث

وبعد تحقيق سند الحديث الشيء الثاني هو متن الحديث. والأئمة المحدثون وإن لم يألوا جهدًا في التوصل إلى معلومات صحيحة عن حالات الرواة وسيرتهم، ونفقوا أعمارهم في هذه العملية ولكن مع ذلك قد بقي بعض الخلل الفطري في رواية الحديث كما هو الحال في كل عملية إنسانية،[١] فنظرًا إلى ذلك الخلل لا بد من أن ينظر إلى هذه الأشياء الآتية في متن الحديث أيضًا.

أولًا أن لا يكون في متن الحديث ما يخالف القرآن ولا السنة.

وثانيًا أن لا يكون فيه ما يعارض مسلمات العقل.

وعما يتعلق بالقرآن فقد قلنا من قبل أنه بمثابة الميزان والفرقان في الدين. وهو مهيمن على كل شيء وأنزل حَكمًا للتمييز بين الحق والباطل، ولذا لا نحتاج إلى استدلال زائد على ذلك أنه إذا كان هناك شيء يخالف القرآن يرد لازمًا.

وهذا هو أمر السنة أيضًا فإن هداية الدين التي وصلتنا بطريق السنة قد ثبت عنها بقطعية كاملة أن النبي قد أجراها باهتمام كامل مثل القرآن، فلا فرق فيها

---

[١] انظر للاستزادة في ذلك مؤلف الأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحي "مبادئ تدبر حديث".

بين القرآن والسنة من حيث اعتبار الثبوت. فكما أن القرآن ثابت بإجماع الأمة فكذلك السنة أيضًا تؤخذ من إجماع السنة. وبما أن هذه الحقائق المتصلة بالسنة قاطعة تامة، فإذا كان خبر الواحد ينافي السنة ولا وجه بينهما للتوافق فيرد خبر الواحد لازمًا.

ومسلمات العلم والعقل أيضًا تحرز هذه الحيثية في هذا الباب. والقرآن صريح في ذلك، فإن دعوته تقوم تمامًا على هذه المسلمات، ويقوم استدلاله في مباحث التوحيد والمعاد الجزرية أيضًا عليها أصالة. وإنه يبرز للناس بطريق تعليماته مما تتقاضاه مسلمات العلم والعقل وتطالبه. فكل طالب للقرآن وافق على أنه يقدمها كحكم لدعوته فقد قدمها أمام مشركي العرب وأمام اليهود والنصارى أيضًا كقول فصل. وهو يقول إنه من يخالف مسلمات العقل والنقل فإنه يتبع هواه. فحقائق الوجدان ومصدقات التاريخ، وثمرات ونتائج التجربة والمشاهدة قد جاءت في القرآن كمسلمات للعقل والعلم. ولذا فالأشياء التي جعلها القرآن بذاته معيارًا للتمييز بين الحق والباطل، إذا جاء هناك خبر الواحد ينافيها فكيف تقبله؟ والظاهر أننا سنرده على كل حال.

فإن الأئمة المحدثين قد ذهبوا هذا المذهب في هذا الباب. الكفاية في علم الرواية هو أم الكتاب في فن أصول الحديث ومصنفه الإمام الخطيب البغدادي يقول:

"ولا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل وحكم القرآن الثابت المحكم والسنة المعلومة والفعل الجاري مجرى السنة وكل دليل مقطوع به. (٤٣٢)

(يتبع ...)

آثار الصحابة

تفهيم الآثار

الدكتور محمد عمار خان ناصر
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

آثار سيدنا علي رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

(١٣)

(٩)

عَنْ أَبِي السَّفَرِ، قَالَ: رُئِيَ عَلَى عَلِيٍّ بُرْدٌ كَانَ يُكْثِرُ لُبْسَهُ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ لَتُكْثِرُ لُبْسَ هَذَا الْبُرْدِ، فَقَالَ: إِنَّهُ كَسَانِيهِ خَلِيلِي وَصَفِيِّي وَصَدِيقِي وَخَاصِّي عُمَرُ، إِنَّ عُمَرَ نَاصَحَ اللهَ فَنَصَحَهُ اللهُ، ثُمَّ بَكَى. (مصنف ابن أبي شيبة رقم ٣١٣٥٧)

الشرح اللغوي

صَفِيّ أي الصديق المختار المنتقى. "خَاصّ" يحمل المعنى نفسه أيضاً، أي الصديق القريب جدًّا والعارف بالأسرار.

التخريج واختلاف الطُّرُق

وقد رُوي هذا الأثر أيضًا من طريق أبي السَّفَر في المصادر التالية:

- كتاب الشريعة للآجُرّي، رقم ١٧٦٦
- فضائل الصحابة للدَّارقطني، رقم ١٢
- تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٤/٣٦٣

وأما الطريق الذي نقله ابن شَيبَة، فإنَّ خلف بن حوشب قد روى فيه تفاصيل الحادثة على النحو التالي:

عن خلف بن حوشب، قال: أدركت رجلًا من اصحاب عبد الله شيخًا كبيرًا، قال: خرج علينا علي رضي الله عنه من القصر وعليه بردة يمانية من هذه اليمانية الحمر، عتيق منها جيد، فجعل القوم يمسونه ويقولون: من أين لك هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا كسانيه حبيبي عمر رضي الله عنه، فلما ذكر عمر رضي الله عنه قبع رأسه بالبُرد، ثم بكى حتى رحمه من كان ثم. (تاريخ المدينة، رقم ١٤٩٨)

وقد روى خلف بن حوشب نفس الحدث عن عمربن شرحبيل بلفظ أت: خرج إلينا علي عليه السلام، وعليه برد، فقال: هذا برد كسانيه خليلي عمر بن الخطاب عليه السلام، ثم رفع البرد فقنع به رأسه، ثم بكى حتى ظننا أن نفسه خارجة من بين جنبيه) .فضائل الصحابة، (رواه الدارقطني، رقم ١٤)

ويرويه راوي آخر أبو مريم كماياتي:

رأيت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه برداً خلقا قد انسحقت حواشيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة .قال: وما هي؟ قلت: تطرح هذا البرد وتلبس غيره. قال: فقعد وطرح البرد على وجهه وجعل يبكي. فقلت: يا أمير المؤمنين، لو علمت إن قولي يبلغ منك هذا ما قلته. فقال: إن هذا البرد كسانيه خليلي. قلت: ومن خليلك؟ قال: عمر رحمه الله إن عمر عبد ناصح الله عز وجل فنصحه. (الشريعة،للآجري:رقم ١٧٦٧)

وقد روى ابن أبي شيبة نفس الأثر لأبي مريم: (تاريخ المدينة:رقم ١٤٩٦) وكذلك نقل الحدث نفسه أبوحيان التوحيدي(الإخوان ابن أبي الدنيا،رقم ٢١٩)

(١٠)

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ أَوَّاهًا حَلِيمًا، وَإِنَّ عُمَرَ نَاصَحَ اللهَ فَنَصَحَهُ اللهُ، وَقَدْ كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ نَرَى أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ يَعْنِي عَلَى لِسَانِ عُمَرَ، وَقَدْ كُنَّا نَرَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَهَابُهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِالْخَطِيئَةِ.

(فضائل الصحابة، ابن حنبل، رقم ٦٠٠)

الشرح اللغوي

"أوَّاه": أي كثير التوجّع، رقيق القلب، شديد العطف والرحمة.

السَّكِينَة: تُطلق في الأصل على ما يُحدث الطمأنينة والسكون في النفس. وقد ورد في بعض الأحاديث استعمالها بمعنى جماعة من الملائكة أو مخلوق نوراني شبيه بهم ينزل عند تلاوة القرآن (البخاري، رقم ٣٤٤٩). وروي عن وهب بن منبّه في تفسيرها أنه قال: السَّكِينَةُ رُوحٌ مِنَ اللهِ تَتَكَلَّم (تفسير الطبري ٣٢٨/٥).

وهذا هو المعنى الذي استعمله عليٌّ رضي الله عنه في الأثر محلّ البحث. كما ورد في بعض الروايات بدل كلمة «سكينة» لفظ «مَلَك»، وهو ما يزيد المعنى وضوحًا.

الشرح والإيضاح

صفات أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وردت في أحاديث عديدة عن النبي صلى الله عليه وسلم. ففي غزوة بدر، حين أشار أبو بكر بإطلاق الأسرى، شبّه النبي صلى الله عليه وسلم رقّة قلبه ورهافة وجدانه بصفاء قلبَي إبراهيم وعيسى عليهما السلام، وقال:

"إنَّ اللهَ لَيَلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حتّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَن."

(أحمد، رقم ٣٥٢٧)

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقّ عمر:

إنَّ اللهَ وَضَعَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ. (أبو داود، رقم ٢٦١٩)

وقال له في موقف آخر:

"إنَّ الشَّيطانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَر"(الترمذي، رقم ٣٧٨١)

التخريج واختلاف الطرق

رُوي هذا الأثر من طريق الشعبي في عدة مصادر، منها:

مجموع مصنفات أبي جعفر ابن البختري، رقم ٩٢

أمالي المحاملي، رقم ١٦٥–١٦٦

أمالي ابن بشران، رقم ١٧٦

إلاّ أن أغلب الروايات عن الشعبي اقتصرت على الجملة: "إنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ

عَلَى لِسَانِ عُمَر" (مصنّف ابن أبي شيبة رقم ٣١٣٣٤، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ٢٣٩٠، حِلْيَة الأولياء رقم ٩٤ و٦٠٦٦، الشريعة للآجري رقم ١٣٢٦، تاريخ دمشق ١٠٩/٤٤)

وقد روى هذه الجملة أيضًا عن عليٍّ رضي الله عنه غير الشعبي: أبو جحيفة، وزِرّ بن حبيش، وطارق بن شهاب.

رواية أبي جحيفة نقلها الإمام أحمد (مسند أحمد رقم ٨٢١، السنّة لابن أحمد رقم ١٢٥٤، فضائل الصحابة رقم ٤٥).

رواية زِرّ بن حبيش جاءت في *الجامع لمعمر بن راشد* رقم ٩٩٣، *الشريعة* للآجري رقم ١١٨٤، *فضائل الصحابة* لابن حنبل رقم ٤٩٨.

رواية طارق بن شهاب جاءت بصيغة:

"كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ مَلَكًا يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَر"(حِلْيَة الأولياء رقم ٩٣)

أما صدر الأثر:

"إنَّ أبا بكر كان أوّاهًا حليمًا، وإنَّ عمر ناصحَ اللهَ فنصحه الله"

فقد رُوي من طريق أبي سريحة عن عليٍّ رضي الله عنه في:

الطبقات الكبرى رقم ٣١٠٤، *فضائل الصحابة* رقم ١٠٤ و١٦٨، *الشريعة* رقم ١٨٠٥، *أنساب الأشراف* ٥٩/١٠، *تاريخ دمشق* ٣٣٩/٣٠. كما رواه ابن عساكر من طريق قيس بن أبي حازم. وروى عمرو بن ميمون هذا الأثر بزيادة:

"إذا ذُكِر الصالحون فحيَّ هَلا بعمر؛ ما كنّا نرى ذلك بعيدًا على أصحاب محمد ﷺ أن تكون السكينةُ تنطق على لسان عمر"

(المعجم الأوسط للطبراني رقم ٥٦٥٣، حِلْيَة الأولياء رقم ٥٥٣٧)

(١١)

قَالَ عَبْدُ خَيْرٍ: كُنْتُ قَرِيبًا مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ جَاءَهُ أَهْلُ نَجْرَانَ، قَالَ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ رَادًّا عَلَى عُمَرَ شَيْئًا فَالْيَوْمَ، قَالَ: فَسَلَّمُوا وَاصْطَفُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ أَدْخَلَ بَعْضُهُمْ يَدَهُ فِي كُمِّهِ فَأَخْرَجَ كِتَابًا فَوَضَعَهُ فِي يَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، خَطُّكَ بِيَمِينِكَ وَإِمْلَاءُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عَلَيْكَ، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَدْ جَرَتِ الدُّمُوعُ عَلَى خَدِّهِ، قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: يَا أَهْلَ نَجْرَانَ، إِنَّ هَذَا لَآخِرُ كِتَابٍ كَتَبْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، قَالُوا: فَأَعْطِنَا مَا فِيهِ، قَالَ: سَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَاكَ، إِنَّ الَّذِي أَخَذَ مِنْكُمْ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ يَأْخُذْهُ لِنَفْسِهِ، إِنَّمَا أَخَذَهُ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ الَّذِي أَخَذَ مِنْكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَعْطَاكُمْ، وَاللهِ لَا أَرُدُّ شَيْئًا مِمَّا صَنَعَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ رَشِيدَ الْأَمْرِ.

(السنن الكبرىٰ، للبيهقي، رقم ١٨٩٧٧)

الشرح والإيضاح

١- يظهر من الروايات أنّ رسول الله ﷺ كتب لأهل نجران وثيقة تضمن لهم ألّا يُخرجوا من ديارهم، وقد تولّى كتابتَها سيدُنا عليّ رضي الله عنه. لكن مع مرور الوقت ازداد عدد أهل نجران، ولأنهم كانوا مقيمين داخل جزيرة العرب، كان سيدُنا عمر رضي الله عنه يتخوّف من احتمال حدوث اضطراب أو تمرّد منهم ضد المسلمين.

ثم وقع بينهم خلاف داخلي وتشتّت أمرهم، فأتوا هم أنفسهم إلى سيدنا عمر رضي الله عنه يطلبون منه أن ينقلهم إلى مكان آخر بسبب النزاعات التي نشبت بينهم. فوافق سيدنا عمر رضي الله عنه على هذا الطلب، ونقلهم بالفعل إلى جهة أخرى.

وبعد ذلك ندم أهل نجران وعادوا إلى عمر رضي الله عنه يرجون منه أن يسمح لهم بالعودة إلى نجران، لكنه رفض تلبية طلبهم. وفي عهد خلافة سيدِنا عليّ رضي الله عنه، عندما انتقل إلى الكوفة، جاءه أهل نجران ومعهم الوثيقة التي كتبها لهم بيده، وطلبوا منه أن يعيدهم إلى موطنهم الأصلي نجران. (مصنف ابن أبي شيبة، رقم ٣٦٣٤٣). وهذا الأثر الذي نحن بصدده يشير إلى هذا الحدث.

٢ - والمقصود من كلام سيدِنا عليّ رضي الله عنه أنّ سيدَنا عمر رضي الله عنه لم يُخلَّ بالمعاهدة، ولم يأخذ أرض نجران لمصلحة شخصية، بل كان ما جرى استجابةً لطلب أهل نجران أنفسهم، وأنّ قرار عمر رضي الله عنه كان مبنيًّا على مصلحة سياسية راجحة للمسلمين. ولأنّ سيدَنا عليّ رضي الله عنه كان يرى هذا القرار صائبًا ولا غبار عليه، أكّد أنه لن ينقضه ولن يردّه.

التخريج واختلاف الطُّرُق

وقد روى الآجُرّي هذا الأثر من طريق عَبدِ خَيْر كذلك (*الشريعة*، رقم ١٢١٠).

وليس عبدُ خيرٍ وحده من نقل هذا الحدث، بل رواه أيضًا سالم بن أبي الجعد، وأبو إسحاق السبيعي، والشعبي.و أثر سالم بن أبي الجعد ورد في المصادر التالية:

مصنف ابن أبي شيبة رقم ٣٦٣٤٣،السنن الكبرى للبيهقي رقم ١٨٩٧٦، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٤ /٣٦٤، أخبار مكة للفاكهي رقم ٢٨٥٧، الشريعة للآجري رقم ١٢١١، السنة لعبد الله بن أحمد رقم ١١٩٤، الإبانة الكبرى لابن بطة رقم ٧٣، الأموال لابن زنجويه رقم ٤١٨.

كما رُوي من طريق أبي إسحاق السبيعي في المصادر التالية:

فضائل الصحابة للدارقطني رقم ١، ٢،الحجة في بيان المحجة للأصبهاني رقم ٣٤٥، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣١/٧.

أما أثر الشعبي في هذا المعنى نفسه فقد جاء في:

فضائل الصحابة لابن حنبل رقم ٥١٣،*الخراج* ليحيى بن آدم رقم ٣١، *الأموال* لأبي عبيد رقم ٢٧٣.

كما نُقل عن الشعبي في السياق نفسه قوله:

قال علي حين قدم الكوفة: ما قدمتُ لأحلّ عقدةً شدَّها عمر.

(مصنف ابن أبي شيبة رقم ٣١٣٦٥)

وقد جاءت نفس الكلمة في المصادرالتالية: الأموال لأبي عبيد رقم ٨٤٩، والخراج ليحيى بن آدم رقم ٣٢،الأموال لابن زنجويه رقم ٤٢٠،الإبانة الكبرى لابن بطة ٣٨٣/٨.

(يتبع...)

بقلم: الأستاذ السيّد منظور الحسن

نقله إلى العربية: الأستاذ عثمان فاروق

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]
(الحلقة التاسعة)

٢. معجزات سيدنا عيسى عليه السلام

تم ذكر معجزات سيدنا عيسى عليه السلام في القرآن الكريم في سورتي آل عمران والمائدة. وقد وردت في هذين الموضعين أربعة معجزات بارزة له. في سورة آل عمران ذكر أنه عندما بشر الله تعالى السيدة مريم عليها السلام بميلاد المسيح عليه السلام، سألت قائلة: كيف يكون ذلك وقد لم يمسني رجل؟ فأجابها الله: 'كذلك يكون'، لأن ما يقرره الله ويأمر به يتحقق بلا ريب. وبعد ذلك، أخبرها الله تعالى برسالة المسيح عليه السلام، وأنه سيرسله إلى بني إسرائيل كـ نبي ورسول. وفي سياق هذا البيان، ذكر القرآن أربعة من معجزات المسيح عليه السلام:

١. خلق طائر من طين بإذن الله.
٢. إحياء البصر للمولود كفيف.
٣. شفاء المصاب بالبرص من مرضه المستعصي.
٤. إحياء الموتى بإذن الله.

وقد أكّد القرآن الكريم صراحة أن كل هذه المعجزات كانت بقدرة الله وإذنه

وحده.* الآيات هي كما يلي:

قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (آل عمران: ٤٧-٤٩)

٣. معجزات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أعظم معجزة أعطيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم. فقد أنزل الله تعالى كلامه المبارك على لسان نبيه الكريم، فكان هو المتحدث باسم الله في تبليغ الرسالة. وكل كلمات القرآن، وجمله، وأسلوبه، وموضوعاته، وأخباره، وأحكامه، كلها من عند الله تعالى. ولهذا يعتبر القرآن معجزة فريدة من نوعها، لا مثيل لها في الوجود، كاملة في دلالتها وشهودها، ودائمة في ظهورها. إنه بلا شك خارق للعادات والقدرات البشرية، إذ لا توجد في التاريخ البشري كتاب آخر مثل القرآن؛ فلا تضاد أو تناقض فيه، ولا انخفاض أو ارتفاع في مستواه. اللغة والأدب عاجزان عن مجاراة فصاحته وبلاغته، أو التعبير عن لطافته وجماله. القرآن يحمل كمال المعنى، وارتفاع الخيال، وعمق النظر، واتساع الرؤية. إنه كلام عالم الغيب والشهادة، ولذلك فهو مكتوب فريد على هذه الأرض، يعلم عن المكان والزمان معًا. من يقرأه، تتكشف له حقائق الماضي المفقود، ويطلع على أخبار المستقبل المجهولة. لذلك، يضطر كل صاحب عقل، سواء أراد أم لم يرد، إلى الإقرار بأن القرآن مرجع للعلم والمعرفة، وخزان للدين والأخلاق، ومجمع للشريعة والحكمة،

---

* ومن بين تلك المعجزات، ورد ذكر المعجزتين الثانية والثالثة أيضًا في نصوص الإنجيل. غير أنّ الفارق الجوهري هو أنّ القرآن الكريم يقرن كلّ واحدة منها بعبارة "بإذن الله" في حين تخلو الأناجيل من هذا التقييد الواضح. ويرجّح أنّه حين ترسّخت لدى بعض الناس فكرة ألوهية المسيح عليه السلام، عدّت هذه العبارة غير منسجمة مع ذلك التصوّر، فجرى حذفها من النصوص الإنجيلية اللاحقة.

وأنه أفضل كتاب يمكن للإنسان أن يسترشد به للرشاد والهداية، وللفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. أستاذنا الجليل جاويد أحمد غامدي، عند حديثه عن إعجاز القرآن، يقول:

"المعجزة التي أعطيت للنبي صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم. فمن يقرأه من أصحاب الذوق الأدبي المطلعين على أساليب البلاغة العربية وعلم الأدب، يشعر فورًا أنه لا يمكن أن يكون كلام إنسان. وقد تحدى القرآن نفسه مخاطبيه في أكثر من موضع، قائلاً: إذا كنتم صادقين في اعتقادكم أن هذا ليس كلام الله، بل محمد اختلقه بنفسه، فقدموا سورة واحدة بمستوى هذا الكلام العظيم. فإذا كان أحد قومكم قادرًا على ذلك دون خلفية علمية أو أدبية، فلن يكون في الأمر أي صعوبة عليه. كان هذا التحدي الذي يطرحه القرآن دعوى مدهشة. والمعنى منها أن القرآن كلام لا يمكن للعقل البشري أن يخلقه مثله. كان هذا الادعاء بشأن الفصاحة والبلاغة والبيان المتميز للقرآن، وأن أي كلام بشري لا يمكن أن يصل إلى مستواه. كان القرآن يدعو إلى تقديم كلام يظهر أن الله هو القائل، ويكشف الحقائق التي تحتاج الإنسانية إلى وضوحها بشدة، والتي لا يمكن لأي كلام بشري أن يوضحها. إنه كلام يشهد له الحدس، وتؤكد على صحته المعارف والعقول، ويحيي القلوب القاحلة كما تحيي الأرض الميتة بالمطر. فيه تلك الشأن والتأثير ذاتهما، الذي يشعر به كل قارئ للقرآن، فإذا كان ملمًا باللغة، يلمس كل كلمة وكأنها تعكس قوة القرآن وتأثيره المباشر. تشير الأحداث التاريخية إلى أن مخاطبي القرآن لم يجرؤ أي منهم على مواجهة هذا التحدي. فقد جاء في القرآن الكريم:

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ. (البقرة: ٢٣-٢٤)

هذا الكتاب العظيم ما زال بحوزتنا حتى اليوم، وقد مضى عليها حوالي أربعة عشر قرنًا. خلال هذه المدة، تغيرت الدنيا تغيرًا كبيرًا، وصنع الإنسان آلهة فكرية ونظرية كثيرة ثم هدمها بنفسه. وتغيرت آراؤه عن النفس والكون مرارًا، وخاض مراحل عدة من التجربة والاختيار، وشق طرقًا عديدة حتى وصل إلى

ما وصل إليه من معرفة. ومع ذلك، يبقى هذا الكتاب، الذي تناول العديد من المسائل التي كانت موضع بحث علمي خلال القرون الماضية، ثابتًا ومحكمًا كما كان منذ أربعة عشر قرنًا. فالعلم والعقل أمامه عاجزان كما كانوا في الماضي، وكل ما ورد فيه لا يزال قائمًا في مكانه بكل هيبته ومصداقيته. لم تستطع البشرية، مهما بلغت من الاكتشافات العلمية المدهشة، إدخال أي تعديل أو تغيير فيه. قال الله تعالى:

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (الإسراء: ١٠٥)

(ميزان، صـ ١٣٦-١٣٨)

إلى جانب هذا المعجزة العظيمة المتمثلة في القرآن الكريم، فقد منح رسول الله ﷺ معجزات مختلفة من حين لآخر بحسب المواقف والظروف. ومن المهم أن نوضح هنا أن ذات الرسول ﷺ في حد ذاتها معجزة عظيمة، فالله تعالى يكلمه، وجبريل الأمين يبلغ إليه وحي الله، وهو في معية الملائكة، ومن فمه يخرج كلام الله تعالى. ويخبر الناس بأخبار الغيب بما يأتيه من السماء، وتصدر البركات والخيرات من وجوده الشريف. نادرًا ما يمرّ يوم إلا وتظهر فيه آية من آيات الله أو علامة من علاماته في محيطه أو من ذاته المباركة. وقد ذكر بعض هذه العلامات في القرآن الكريم، وبعضها الآخر في كتب الحديث والسيرة النبوية.**

ومن بين هذه المعجزات، نذكر مثالين اثنين فيما يلي:

إحداهما معجزة غزوة بدر، حين أخذ النبي ﷺ قبضةً من التراب فرماها نحو جيش الكفار، فتحولت إلى غبار عاصف دخل في أعين الكافرين. وقد ورد ذكر هذه المعجزة في القرآن الكريم وكذلك في الروايات التي نقلت بعض تفاصيلها. قال الله تعالى في سورة الأنفال:

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (سورة الأنفال، الآية ١٧)

(للحديث صلة ...)

** وقد قام بعض الباحثين باستقصاء هذه الأمور، فألّفوا كتبًا مستقلة تحت عنواني "دلائل النبوة" و "معجزات النبي ﷺ"، تناولوا فيها تلك الدلائل والمعجزات بالبحث والتحقيق.

إعداد: الدكتور شهزاد سليم
ترجمة من الإنجليزية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

تاريخ جمع وتدوين القرآن الكريم: دراسة نقدية

(الحلقة الخامسة)

أثناء دراسة الأسانيد الواردة في الروايات (٨٠) التزمتُ بالمعايير التي قرّرها أئمةُ علم الرجال في تصنيف الروايات الصحيحة. وهذه المعايير الخمسة هي:

أولًا: أن يكون السند متصلًا غير منقطع .

ثانيًا: أن يكون الرواة عدولًا موثوقين.

ثالثًا: أن يكونوا ضابطين متقنين للحفظ والرواية.

رابعًا: أن تخلو الرواية من العلة الخفية.

خامسًا: أن تخلو من الشذوذ، أي ألّا يخالف الراوي الثقةُ من هو أوثقُ منه روايةً. (٨١)

وبما أنّ أكثر الروايات التي تم تحليلها قد خضعت أصلًا لهذه المعايير عند المحدّثين الأوائل الذين دوّنوها في مصنّفاتهم، فإنّ من تناول نقد هذه الروايات- ومنهم كاتب هذه الدراسة- أعاد تطبيق تلك المعايير مرّةً أخرى. وسببُ إعادة التطبيق هو أنّ هذا العملَ جهدٌ بشريّ، ومن ثمَّ لا يمكن اعتباره نهائيًّا أو قطعيًّا نظرًا لحدود الإدراك البشري.

ثالثًا: عند تحليل أيّ رواية، جرى تتبّعُ جميع طرقها وشواهدها ومتابعاتها؛ لتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات المتعلّقة بخلفية الحادثة أو الواقعة تحت البحث.

رابعًا: إذا وُجدت روايات متساوية في درجة الصحة لكنها متعارضة في المضمون، يُبذل أوّلًا جهدٌ للجمع والتوفيق بينها، فإن تعذّر ذلك، لم يُعتمد عليها في إثبات مضمونها.

خامسًا: في معظم الفصول تُعرَض آراءُ العلماء المتقدّمين في المسألة وتُناقش وتُقيّم، ثم يُستأنف النقد والتحليل بعدها.

مناهج الباحثين الغربيين في تحليل الحديث

لقد كان لتأثير المستشرقَيْن إغناطس غولد تسيهر (ت ١٩٢١م) وجوزيف شاخت (ت ١٩٦٩م) على الدارسين الغربيين في موضوع موثوقية الحديث تأثيرٌ بالغ العمق.[٨٢] فهذان العالمان اعتبرا الأحاديث غيرَ موثوقة ومصطنعةً إلى حدٍّ كبير، مما جعل أغلب الباحثين الغربيين يميلون إلى عدم الثقة بما تعكسه الأحاديث عن صدر الإسلام.

وفي العصر الحديث، يُعدّ الباحث الهولندي غوت هلم أندرياس يُوينبول (G.H.A. Juynboll)ت ٢٠١٠م) أبرز من تبنّى أطروحتهما. فقد طوّر منهجًا لدراسة روايات الحديث من خلال تحليل الأسانيد، وابتكر مصطلحاتٍ مختلفةً لدراسة جميع الروايات المتفرعة عن أصلٍ واحد ضمن ما سمّاه بـ "حزمة الأسانيد"(isnād bundle). ويرى يُوينبول أنّ أغلب الروايات يبدأ من النبي ﷺ كخيطٍ مفرد يتفرّع في الطبقة الثالثة أو الرابعة (عادةً عند أحد التابعين) إلى عدة رواةٍ، وأنّ أصلَ هذا التفرّع هو شخصٌ محوريٌّ يسمّيه "لرابط المشترك"(common link)[٨٣] وهو ما يُعرف في المصطلح الإسلامي بـ "المدار".[٨٤] ويرى يُوينبول أنّ هذا الرابط المشترك هو في الغالب واضع الرواية ومُنشِئها، لا ناقلها الحقيقي.

أمّا المستشرق هارالد موتسكي، فيرى أنّه لا يوجد ما يكفي من الأدلة لتعميم هذا الحكم، وأنّ كل رواية يجب دراستها على حدة من غيرها؛ إذ يمكن أن يكون الرابط المشترك وضّاعًا كما يمكن أن يكون ناقلًا صادقًا.[٨٥] وقد تبنّى موتسكي ومعه غريغور شولر (Gregor Schoeler) المنهج المعروف بـ المنهج التاريخي للنقل(Überlieferungsgeschichtlich) ، ودعَوا إلى اعتماد تحليلٍ يجمع بين المتن والسند (isnād-cum-matn) أو بالعكس، بحسب نقطة انطلاق البحث وشدّة التركيز على أحد الجانبين.[٨٦]

وقد طبّق موتسكي هذا المنهج على روايات جمع القرآن في عهدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه، فخلص إلى أنّ "الرابط المشترك" في كلتا الحالتين هو ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)، وأنّه يمثّل طريقًا حقيقيًّا للرواية

عن شيوخه؛ وهم :عبيد بن السباق في الحالة الأولى، وأنس بن مالك (ت ٩١/٩٢/٩٣ /٩٥هـ) في الثانية. ويقول موتسكي : إنّ تاريخ وفاة الزهري يمثل حدًّا أدنى زمنيًّا لما يمكن أن تكون هذه الروايات قد دوِّنت بعده.[٨٧] ويضيف في استنتاجه النهائي: "إننا لا نستطيع أن نُثبت أنّ الروايات عن تاريخ جمع القرآن تعود إلى شهود عيانٍ للأحداث المزعومة، ولا يمكننا أن نجزم بأنّ ما ورد فيها قد وقع فعلًا كما رُوي. ومع ذلك، فإنّ الروايات الإسلامية أقدم بكثير، وبالتالي أقرب زمنيًّا إلى الأحداث من التقديرات التي افترضها الباحثون الغربيون سابقًا.[٨٨]

ولما كان نقد موتسكي لمنهج يُوينبول مقنعًا في نظري، فقد تبنّيتُ منهجه في تقويم الروايات ولم أستعمل طريقة يُوينبول.

خلاصة أقسام الكتاب

تنقسم هذه الدراسة إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: التقييم النقدي (ويتكوّن من سبعة عشر فصلًا).

يتناول هذا القسم بالنقد والتحليل مختلف الروايات التي تتعلّق بتاريخ جمع القرآن وتدوينه ونقله، وهي الأساس الذي اعتمد عليه العلماء المسلمون التقليديون في بناء تصوّرهم لهذا التاريخ. وتشمل الفصول ما يأتي:

١- دراسة نقدية للروايات التي تذكر أنّ أربعةً فقط جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ.

٢- تحليلٌ نقديٌّ لروايات جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٨٩].

٣- تحليلٌ نقديٌّ لروايات جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٤- تقويمٌ نقديٌّ لروايات جمع القرآن في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٥- دراسةٌ للروايات التي تتحدّث عن مصاحف الصحابيين الجليلين أُبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

٦- متابعة البحث في إحدى قضايا مصحف ابن مسعود، وهي الروايات التي تزعم أنه لم يعدّ المعوّذتين من القرآن الكريم.

٧- تحليلُ الرواية التي تفيد أنّ عثمان رضي الله عنه اعتبر سورتي الأنفال والتوبة سورةً واحدة.

٨- تقويمُ الروايات التي تذكر رفضَ ابن مسعود تسليم مصحفه للعمّال العثمانيين.

٩-دراسةُ الروايات المنسوبة إلى عثمان رضي الله عنه، والتي تزعم وجود أخطاء (لحن) في النسخ التي جُمعت بأمره.

١٠- تحليلُ الرواية التي تصف ترتيبًا معيّنًا للسور في المصحف بحسب تناقص الطول.

١١- بحثُ الروايات التي تشير إلى وضع نسخة من المصحف عند أحد أعمدة مسجد النبي ﷺ.

١٢- دراسةُ الروايات التي تزعم أنّ الحجاج بن يوسف غيّر في القرآن أحد عشر موضعًا.

١٣- تقويمُ الروايات التي تتحدّث عن اختلافاتٍ بين المصاحف العثمانية.

١٤- دراسةُ روايتي "آية الرجم" و"آية الرضاع" اللتين توحيان بنقصٍ في القرآن.

١٥- إعادةُ النظر في نسبة التطورات الأولى في رسم المصحف وضبطه وتنقيطه إلى بعض الأفراد.

١٦- تقويمُ الروايات المتعلّقة بنزول القرآن على سبعة أحرف.

١٧- دراسةُ أسانيد القراءات السبع المشهورة لبيان ما إذا كانت تُفيد التواتر أم لا.

القسم الثاني: التركيب والاستنتاج (ويتكوّن من فصلين).

١- عرضٌ تركيبيٌّ لتاريخ جمع القرآن كما يقدّمه القرآن نفسه .

٢- بيانُ تاريخ نقل القرآن وتواتره

وتُختتم الدراسة بخاتمةٍ عامة تُلخّص أهم النتائج، يليها مجموعةٌ من الملاحق وفهرسٌ للمراجع المستعملة، كما تُلحق بعض الملاحق الخاصة بكل فصل في نهاية ذلك الفصل.

(يتبع...)

الهوامش:

٨٠- يمكن للقارئ أن يلاحظ أن مصطلحات الجرح المستخدمة في تقييم الأسانيد قد شُرحت في الملحق (ج) الموجود في نهاية هذا الكتاب.

٨١ - انظر على سبيل المثال :أبو عمرو ابن الصلاح الشهرزوري، *المقدمة* (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٧م)، ص ١١ –١٢

٨٢- للاطلاع على عرضٍ مفصّلٍ للآراء الغربية حول تأريخ الحديث، انظر – هارالد موتسكي،

"Muslim Traditions: A Dating Survey" ، مجلة *Arabica* المجلد ٥٢، العدد ٢ (٢٠٠٥م): ٢٠٤–٢٥٣.

٨٣- يتفق كلٌّ من شاخت ويونبول على أنّ الرواية قد صُنعت على يد هذا "الرابط المشترك" (أو – في رأي شاخت – على يد شخصٍ لاحقٍ استخدم اسمه). انظر:

جوزيف شاخت، *Origins of Muhammadan Jurisprudence*، الطبعة الأولى (لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٠م)، ص ١٧١–١٧٢؛ ج. هـ أ. يونبول، "Some Isnad Analytical Methods – Illustrated on the Basis of Several Women Demeaning Sayings from Hadith Literature"، ضمن *Studies on the Origins and Uses of Islamic Ḥadīth*، الطبعة الأولى (هامبشاير: آشكيت بابليشينغ ليمتد، ١٩٩٦م)، ص ٣٥٣.

والاختلاف الوحيد بينهما هو في تحديد الحقبة التاريخية للشخص الذي يمكن أن يكون ذلك الرابط المشترك. فبحسب موتسكي:

بما أن شاخت كان مقتنعًا بأن الحديث نشأ في القرن الثاني الهجري في أقرب تقدير، فقد استُبعد التابعون الأقدمون، والصحابة، والنبي ﷺ من كونهم روابط مشتركة حقيقية،بينما «يونبول – الذي يرجّح بداية الإسناد قبل شاخت بجيلٍ واحد – يرى أن التابعي، حتى وإن كان كبير السن، يمكن أن يكون رابطًا مشتركًا حقيقيًا. أنظرهارالد موتسكي(محرر):

The Formation of the Classical Hadith: Origins and Developments، سلسلة *Islamic World*، المجلد ٢٨ (ألدرشوت: آشكيت بابليشينغ ليمتد، ٢٠٠٤م)،ص xxxviii وللتعريف العام بمصطلحات منهج يونبول، انظر: ج. هـ أ. يونبول، "Early Islamic Society as Reflected in its use of Isnads"، ضمن *Studies on the Origins and Uses of Islamic Ḥadīth*، الطبعة الأولى (هامبشاير: آشكيت بابليشينغ ليمتد، ١٩٩٦م)، ص ١٥٢–١٥٩؛ ج. هـ أ. يونبول (محرر)، *Encyclopedia of Canonical Ḥadīth*، الطبعة الأولى (ليدن: بريل، ٢٠٠٧م)، ص xvii–xxviii.

٨٤- وقد جادل حليت أوزكان بأن مصطلح *المدار* المستخدم في الأدب التاريخي

الإسلامي يختلف عمّا يفهمه شاخت ويونبول) عندما يعادلانه بمصطلحهما "الرابط المشترك(common link) " انظر حليت أوزكان، "The Common Link and its Relation to the Madār"، *Islamic Law Quarterly*، المجلد ١١ (٢٠٠٤م): ص ٤٢–٧٧

٨٥- وللانتقاد الموجَّه إلى فكرة أن الرابط المشترك هو نفسه الواضع للرواية انظر:

هارالد موتسكي، "Dating Muslim Traditions: A Survey"، مجلة *Arabica*، المجلد ٥٢، العدد ٢ (٢٠٠٥م): ص ٢٢٨–٢٢٩؛ هارالد موتسكي، "The Collection of the Qur'an: A Reconsideration of Western Views in the Light of Recent Methodological Developments"، مجلة *Der Islam*، المجلد ٧٨ (٢٠٠١م): ص ٢٧–٢٨

٨٦- هارالد موتسكي، "The Collection of the Qur'an: A Reconsideration of Western Views in the Light of Recent Methodological Developments"، مجلة *Der Islam*، المجلد ٧٨ (٢٠٠١م): ص ٢٨

٨٧- المصدر نفسه، ص ٢٩

٨٨- المصدر نفسه، ص ٣١

٨٩- ونظرًا لارتباط الجمع المنسوب إلى أبي بكر رضي الله عنه ارتباطًا وثيقًا، فقد نوقش الجمع المنسوب إلى عمر رضي الله عنه في قسمٍ تكميلي من الفصل نفسه.

دكتور محمد غطريف شهباز الندوي

فهم القرآن والحاجة إلى تحقيق الروايات التفسيرية

(الحلقة الثالثة)

٢- جاء محمد ﷺ كرسولٍ من عند الله يحمل رسالة *اقرأ* الثورية. فكان ذلك حدثًا محسوسًا ويقينيًّا، ابتدأ برؤى صادقة أُعدّ لها النبي ﷺ إعدادًا غير محسوس على مدى طويل. وكان اضطراب النبي ﷺ عند تلقيه أول وحي أمرًا طبيعيًّا بالنظر إلى ما انطوت عليه الرسالة من تبعاتٍ ومسؤولياتٍ جسيمة، لكنه ﷺ لم يشكّ لحظة في صدق الرسالة ولا في نبوّته. غير أن بعض الباحثين المحدثين في السيرة النبوية استنبطوا من تعبير "*خشيتُ على نفسي*" الواردة في صحيحي البخاري ومسلم، أن النبي ﷺ قد انتابه في البداية نوعٌ من التردد أو الظنّ بأن مَن جاءه ربما كان جنًّا أو طيفًا لا مَلَكًا.[١٢]

وفي بعض الروايات المعتبرة (وهي في الحقيقة مدرجة من كلام الزهري) يُذكر أن انقطاع الوحي بعد المرة الأولى كان شديدًا على النبي ﷺ حتى إنه – والعياذ بالله – حدّث نفسه بالتفكير في إنهاء حياته.[١٣] والزهري إمامٌ جليل من أئمة الحديث، كبير الثقة والمكانة، غير أن المأخذ عليه أنه كان يُدرج آراءه الشخصية في متن الحديث، فيختلط كلامه بكلام النبي ﷺ، وتُعرف تلك الإضافات بالمدرَجات أو المرسلات. والعلماء المتبحرون في علم الحديث يدركون هذه المدرجات ويميزونها، لكن عامة القراء قد لا ينتبهون، فتتولّد لديهم شبهاتٌ حين يقرؤون أن الزهري يروي مثلًا: *أن كثيرًا من القرآن ذهب مع القرّاء الذين استُشهدوا يوم اليمامة، فلم يُعرف ولم يُكتب بعدهم*، أو أن *آيةً أكلتها شاة!*[١٤] ولحسن الحظ أن هذه الروايات لا تَرِد إلا في *ابن ماجة* و*كنز العمال*، وكلا الكتابين مشحون بالضعاف

والموضوعات، كما قرر أئمة الحديث. غير أن المستشرقين وجدوا في مثل هذه الروايات مادةً للطعن، فاستغلوها للطعن في حفظ القرآن وسلامته من التحريف. (١٥)

ومثل ذلك ما أوردته بعض التفاسير من الجدل حول حقيقة الوحي: هل هو من عند الله لفظًا ومعنًى، أم أن المعاني فقط من عند الله والألفاظ من النبي ﷺ؟ الإمام السيوطي في كتابه *الإتقان في علوم القرآن* نقل عن ابن أبي حاتم، بسنده عن عُقَيل عن الزهري، أن الوحي هو ما يُلقيه الله إلى قلب النبي فيعيه، ثم يعبر عنه النبي بلسانه ويكتبه الكُتّاب، فيكون ذلك هو "كلام الله". واستدل بعضهم بقول الله تعالى: *نزل به الروح الأمين*" ، قائلين إن جبريل كان ينقل المعاني، ثم يصوغها النبي ﷺ بألفاظٍ عربية. والإمام أحمدبن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي – كما نقل عنه السرّ سيد أحمد خان –كان يرى أن المعاني من عند الله والألفاظ من عند النبي.(١٦) لكن السرّ سيد ردَّ هذا الرأي بقوة، واعتبر أن الألفاظ والمعاني كليهما من الله تعالى. غير أنه – دون أن يشعر – أوقع نفسه في إشكالٍ آخر، إذ أنكر وجود جبريل الحسّي، واعتبره مجرّد «ملكة النبوة»، والملكة يمكن أن تأتي بالمعاني، لكنها لا يمكن أن تأتي بالألفاظ ما لم يُسلَّم بوجود المَلَك ذاته.(١٧)

ومن مظاهر جعل الروايات حاكمةً على القرآن ما نراه في قضية *نزول المسيح*، وما ارتبط بها من أساطير حول المهدي وخروج الدجال. ولا ندري أيّ دجالٍ هذا الذي تنتظره الأمة منذ قرون! فالدجال – بمعنى الكاذب المضلّ – لم يخلُ منه زمان، إذ ما أكثر من ادّعوا النبوة زورًا وبهتانًا! وكذلك كم من أناسٍ خرجوا باسم «المهدي المنتظر» فأثاروا الفتن وأهرقوا الدماء! أما القرآن الكريم فيصرّح بوضوح في شأن المسيح عليه السلام:

"إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا" (آل عمران: ٥٥).

والموت قَدَرٌ كونيّ على كل مخلوق، لا يُستثنى منه نبيٌّ ولا وليّ. لكن بعض المفسرين فهموا من قوله تعالى" *ورافعك إليّ*" أن عيسى رُفع إلى السماء حيًّا، ومن ثم نشأت فكرة نزوله آخر الزمان(١٨) وصُنعت مئات الروايات الإسرائيلية لتأكيدها.

وقد تساهل بعض المفسرين الكبار في الإفادة من روايات أهل الكتاب، فكانت

تلك البساطة العلمية سببًا في دخول كثير من الخرافات والأساطيرإلى الفكر الإسلامي عبر أحبارٍيهود ككعب الأحبار، الذي ثبت عن الصحابة أنهم اتهموه بالكذب، إذ قالوا: *"إنا كنا نبلو عليه الكذب"*.[١٩] ثم جاء بعده تلامذة وموالي، كعكرمة، فزادوا الطين بلّة، حتى قال ابن عمر لنافع: *"لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس"*.[٢٠] واليوم أصبح نزول المسيح وخروج الدجال وظهور المهدي من المسلّمات المتواترة عند كثير من الناس، رغم أن القرآن يرفض هذه التصورات رفضًا قاطعًا، وكتب العلماء فيها مصنفاتٍ كاملة لإثبات ما لا أصل له من الدين.[٢١]

قراءات القرآن

إن الأمة الإسلامية تقرأ القرآن اليوم على قراءة واحدة هي *قراءة العرضة الأخيرة*، وهي المتواترة المقطوع بصحتها، ولم تقبل الأمة غيرها في عبادتها وتعليمها. غير أن التفاسير والروايات أطلقت العنان للتعدد حتى سبع أو عشر قراءات. وقد كانت هذه الاختلافات محصورة في القرّاء المتخصصين، لكنها اليوم – كما أشار الأستاذ ريحان أحمد اليوسفي – أصبحت تُنشر على وسائل الإعلام، وتُطبع مصاحف متعددة بها، مما جعل العقلاء يتساءلون، ووفّر للخصوم مادةً للطعن في وحدة النصّ القرآني. مع أن رواة هذه القراءات السبعية أو العشرية – كما يقول أهل الجرح والتعديل – فيهم ضعفٌ ونكارة. وحتى القائلون بها لا يجيبون عن هذا السؤال المنطقي: كيف يُقرأ لفظٌ واحد في القرآن سبع أو عشر مرات بطرق مختلفة؟ وكيف علّم النبي ﷺ أصحابه ذلك؟ ثم أين هي النصوص الصحيحة، ولو واحدة، التي تثبت أن النبي ﷺ أجاز لأحدٍ أن يقرأ الآية الواحدة بأوجهٍ مختلفة؟

القرآن نُقل إلينا بالتواتر جيلًا بعد جيل، لفظًا ومعنى، من الصحابة إلى التابعين إلى أتباعهم، حتى استقر في المصاحف في عهد الحجاج بن يوسف، يوم أمر سبعين من العلماء الثقات بوضع الإعراب والضبط تيسيرًا على الأمة. فهو المصحف الذي يُتلى اليوم في مشارق الأرض ومغاربها.

لكن البلاء في أولئك الذين فُتنوا بالاختلاف، فأرادوا أن يجعلوا من القرآن نفسه ساحةً للتباين، واخترعوا لذلك أحاديث مرفوعة وآثارًا منسوبة إلى الصحابة.

ورواها جهّال لا يخافون الله، ودوّنها بعض المصنفين بحسن نيةٍ دون تمحيص.

ومن تلك الأحاديث الموضوعة – كما بيّن العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي – الحديث المشهور في «القراءة على سبعة أحرف»، الذي يرويه الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس. يرى العلامة أزهر الميرتهي أن الحديث باطل من أوله إلى آخره، إذ لم يُعقَل أن يطلب النبي ﷺ التعدد في القراءة بعد أن علّمه جبريل القرآن على وجهٍ واحد. كما أن اختلاف الألفاظ يؤدي إلى اختلاف المعاني، فيجعل الأمة في ضيقٍ وحرجٍ، وهذا ما يتنزه عنه نبيّ الرحمة ﷺ

إن القرآن نُقل تواترًا تامًّا دون تبديل، أما هذه الروايات المتشعبة فهي من آثار الشغف بالاختلاف والتكلف الذي لا يليق بكلام الله.[٢٢]

(يتبع...)

الهوامش:

١٢- محمد حسين هيكل :*حياة محمد*، تحرير: إسماعيل الراجحي الفاروقي:

He feared the cave might be haunted and that he might run away still unable to explain what he saw. He walked in the area around the mountain asking himself who could have commanded him to read.Page74 The Life of Mohammad ,published by New Crescent Publihing company Delhi.Reprint August 2009

لقد خاف أن يكون الغار مسكونًا بالأرواح، وأن يفرّ من المكان عاجزًا عن تفسير ما رآه. فراح يمشي في المنطقة حول الجبل يسائل نفسه: من الذي أمره بالقراءة؟ (ص ٧٤، *The Life of Mohammad*، منشورات New Crescent Publishing Company، دلهي، الطبعة المعاد طبعها في أغسطس ٢٠٠٩)

١٣- وقد ورد هذا في أصحّ كتب الحديث، *صحيح البخاري*، في "باب بدء الوحي." إلا أنّ الرواة والمحدثين والشارحين لم ينتبهوا إلى أن في هذه الرواية إدراجًا، وأن الجملة التي فيها إضافة من الزهري نفسه، حيث تُنسب فيها إلى النبي ﷺ فكرة الإقدام على الانتحار. وقد رفض العلامة الميرٹهي هذا الجزء المُدرَج من الحديث، بناءً على أساسَي الرواية والدراية، في شرحه *تحفة القارئ*. انظر *:إشراق عربي*، عدد يونيو ٢٠٢٥، مقال: «أيةُ سورةٍ من القرآن نزلت أولًا؟» (الحلقة الرابعة، ص ٧٨).

١٤- عن ابن شهاب قال: بلغنا أنه قد أُنزِل قرآن كثير، فقُتل العلماء يوم

اليمامة الذين كانوا قد حفظوه، ولم يُعلم بعدهم، ولم يُكتب، فلما جمع أبو بكر وعمر وعثمان القرآن، ولم يُوجد مع أحد بعدهم، وكان ذلك فيما بلغنا مما حملهم على أن تتبعوا القرآن فجمعوه في الصحف في خلافة أبي بكر، خشية أن يُقتل رجال من المسلمين في المواطن ومعهم كثير من القرآن فيذهبوا بما معهم من القرآن فلا يُوجد عند أحد بعدهم، فوفّق الله عثمان فنسخ تلك الصحف في المصاحف فبعث بها إلى الأمصار وبثّها في المسلمين. (رواه ابن أبي داود) [كنز العمال رقم: ٤٧٧٨]

١٥- للتفصيل انظر: شهزاد سليم، *History of the Qur'an*. الدكتور شهزاد سليم نال درجة الدكتوراه من جامعة ويلز في المملكة المتحدة حول موضوع "تاريخ القرآن." يتعلّق بحثه بعملية جمع القرآن وترتيبه، وباختلاف القراءات، والأخطاء النسخية، ودراسة المخطوطات المختلفة. وقد استغرق هذا المشروع ثمانية أعوام، وهو مكتوب باللغة الإنجليزية.

١٦- السيد أحمد خان، *مقدمة تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان*: يقول نقلاً عن الشاه ولي الله الدهلوي:

فمن ذلك (أي من التدليات) القرآن العظيم، وذلك أن ألفاظ القرآن إنما هي من اللغة العربية التي يعرفها محمد ﷺ ويتخيّلها، والمعاني فائضة من الغيب تعليمًا له ﷺ تدليًا إلى الخلق، فصارت كلامًا إلهيًا لأن إرادة الخير بالناس أمدّت في خياله عليه السلام، فهي التي جمعت الألفاظ ونظّمتها، ثم أُمدّ هذا النظم فلبس لباسًا محاكيًا للجبروت، فصار بذلك تدليًا إلهيًا وسُمّي كلام الله. (*التفهيمات الإلهية*، ص ٨٥) بحسب ما ورد في: *تفسير القرآن للسيد أحمد خان، الجزء الأول، منشورات مكتبة خدا بخش الأورينتالية، پتنا، ص ٤١.*

١٧- أيضًا ص ٥١.

١٨- وللاطلاع على نقدٍ مفصّلٍ لهذا التصوّر، انظر: الأستاذ جاويد أحمد غامدي: *نزول المسيح*، والعلامة شبير أحمد أزهَر الميرٹهي: *الأحاديث حول الدجال – دراسة نقدية* (الطبعة الثانية)

١٩- وقد روى البخاري من حديث الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، أنه سمع معاوية رضي الله عنه يحدّث رهطًا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار

فقال:

"إنه كان لمن أصدق هؤلاء المُحدّثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب."

٢٠- وقال إسحاق بن عيسى: سألتُ مالك بن أنس، قلتُ: أبلَغَك أن ابن عمر قال لنافع: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس؟ قال: لا! ولكن بلغني أن سعيد بن المسيّب قال ذلك لِبُردٍ مولاه. (*تهذيب الكمال* ٢٨/٢٤٠؛ *مقدمة فتح الباري*، ص ٢٩١.)

٢١- فمثلاً إنّ عبد العليم عبد العظيم هو الذي رتّب *موسوعة المهدي* كاملة، وقد حاول فيها—بتكلّف شديد—إثبات صحّة ثماني أحاديث فقط تتعلّق بالمهدي. غير أنّا عندما درسنا هذه الأحاديث تبيّن لنا أنّ واحدًا منها لا يصحّ. وعلى المنوال نفسه تأتي شهرة كتاب العلامة أنور شاه الكشميري *التصريح فيما تواتر بنزول المسيح*، الذي نشره بتحقيقٍ متقن العلامة عبد الفتاح أبو غدّة.

ولمن أراد نقدًا علميًا وافيًا لأحاديث خروج الدجّال ونزول المهدي والمسيح، فليراجع كتاب: "أحاديث الدجّال: دراسة تحليلية نقدية "للعلامة شبير أحمد أزهر ميرتهي، إعدادًا وتحشيًا للدكتور محمد غطريف شاهباز الندوي، والصادر عن مؤسّسة الدراسات الإسلامية – نيو دلهي.

٢٢- ص ٧٤ - *العدد الخاص* من مجلة إشراق أمريكا، سبتمبر ٢٠٢٥م، جائزة الإنجاز مدى الحياة.

تحقيق: العلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي

عرض وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة نقدية للقصّة المروية في الصحيحين عن العسل

(الحلقة الثالثة)

الواقعة الثانية

في تلك الأيام نفسها وقع حادث آخر، وهو أن النبي ﷺ أسرَّ إلى السيدة حفصة رضي الله عنها حديثًا وأوصاها ألّا تُخبر به أحدًا. لكن حفصة رضي الله عنها، لما كانت تعلم مدى محبّة النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها، رأت أنه لا حرج أن تخبرها بذلك السرّ، فحدّثتها به.

فأطلع الله نبيَّه ﷺ على الأمر، وأعلمه أن التي أسرّ إليها الحديث أفشته إلى أخرى. فعاتب النبي ﷺ حفصة قائلًا: *لقد أخبرتِ أحدًا بالسرّ ولم تحفظيه*. فلم تُبدِ حفصة رضي الله عنها ندمًا، بل قالت: *ومن أخبرك بذلك؟* ظنّت أن عائشة هي التي أخبرته، إذ لم تخبر حفصة أحدًا غيرها. فقال ﷺ: *أخبرني العليم الخبير*، أي الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى.

ومع ذلك، لم تُعرِ حفصة الأمرَ أهمية كبيرة، ولم تُظهر التوبة أو الأسف. وكانت بين حفصة وعائشة رضي الله عنهما مودة عميقة، وقد اتفقتا معًا في الإصرار على أن يقطع النبي ﷺ صلته بالسيدة مارية القبطية رضي الله عنها. فجاء هذا الحادث ليزيد الموقف توترًا.

وبسبب الحزن والانزعاج، أقسم النبي ﷺ أن يعتزل بعض أزواجه شهرًا كاملًا،

كما روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها:

"إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَلَفَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ شَهْرًا"

(صحيح البخاري، كتاب النكاح، ص٢٨٣ طبعة الهند).

والمقصود بـ«بعض أهله» هما عائشة وحفصة رضي الله عنهما. وهذا يُسمّى في الاصطلاح الفقهي «الإيلاء»، أي أن يحلف الزوج على اعتزال زوجته مدة معينة. ولم يُؤلِ النبي ﷺ من جميع أزواجه، بل من اثنتين فقط، لكنه ﷺ اعتزل الجميع فعليًا، فأقام في مشربة له شهرًا. لذلك ورد في بعض الأحاديث أنه «آلى من نسائه» على وجه الإجمال، فظن بعض المفسرين خطأً أنه آلى من جميع أمهات المؤمنين، وليس الأمر كذلك.

وفي شأن هذا الحادث — حادث إفشاء السر — نزل قول الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ (التحريم: ٣)

أي قال لها سرًّا وأوصاها ألّا تُخبر به أحدًا.

ثم قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾

(التحريم: ٣)

أي حينما أفشت ذلك إلى الأخرى، وأطلعه الله على ما حدث، ذكّر لها بعض الأمر وترك بعضه، فعرض إجمالًا دون تفصيل.

ثم قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا، قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾

(التحريم: ٣).

وأما ماهية السرّ نفسه، فلا يعلمها إلا الله. فلم يُذكر في القرآن ولا في حديث صحيح، ولم يتكلم فيها أحد من الصحابة، لا حفصة ولا عائشة رضي الله عنهما، بل كتمتاه طيلة حياتهما. ولهذا ينبغي للمؤمنين ألا يخوضوا في محاولة كشف ما لم يُكشف.

قال الشاعر الفارسي:

اکنون کِرا دماغ کہ پرسد زِ باغباں
بلبل چہ گفت و گل چہ شنید و صبا چہ کرد

أي: من له الجرأة ليسأل البستاني عمّا دار بين البلبل والورد والنسيم من حوار؟

وقد وردت في بعض كتب التفسير روايات شاذة لا يُعتدّ بها، أما في الصحيحين فلم يثبت سوى ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

"وَكَانَ قَدْ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا، فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ حِينَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً"

(البخاري: رقم ٢٤٦٨، ٥١٩١؛ مسلم: رقم ١٤٧٩).

فخاطبهما الله تعالى بقوله:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم: ٤)

أي إن تتوبا فهو خير لكما، فقد مالت[1] قلوبكما إلى ما لا يليق بمقامكما.

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ التحريم: ٤)

أي إن اتفقتما على مضايقة النبي ﷺ أو إيذائه، فلن تضرّاه شيئًا، لأن الله وليّه، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة من بعدهم أنصاره.

وهكذا خيّرهما الله بين طريقين: طريق التوبة والإصلاح، أو طريق العناد والخصومة. فإن تابتا، رفع الله منزلتهما، وإن استمرّتا، خسرَتا التأييد الإلهي، ودعاء الملائكة، ومحبة المؤمنين، بل وسقَطتا من أعين آبائهما الكرام. وإن طلّقهما النبي ﷺ، فالله قادر أن يبدله خيرًا منهما، كما قال تعالى.

﴿عَسَى رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا.التحريم :٥﴾

هاتان الحادثتان في ذاتيهما لم تكونا عظيمتين، لكن عِظَم شأن أمهات المؤمنين جعلهما ذا وزن كبير. فقد كنّ لسن نساءً عاديات، بل شريكات حياة النبي ﷺ، الذي هو أعظم الخلق في الكون بعد الله تعالى. لذلك أراد الله أن يُذكَر ما حدث في القرآن الخالد، ليبقى عبرة لهنّ ولسائر المؤمنين إلى يوم القيامة، وليتعظ

---

[1] إنه جاءت في المتن كلمة صغو(فقد صاغت قلوبكما) واستدلالا بهذه الكلمة فإن علماء المدرسة الفراهية يفسرون الآية بأن قلوبكما قد مالت إلى التوبة والرجوع إلى الله والاستغفار مما صدر عنكما مالا يليق بشأنكما.(الكاتب)

الناس بغيرتهنّ وإنسانيتهن وزلتهن رغم سموّ مقامهنّ.

وفي النهاية، نقول:

اللّهُمَّ صلّ وسلم على نبيك محمدٍ وعلى أزواجه، كما تحب وترضى، عدد ما تحب وترضى.

وجهات نظر

بقلم: د. عرفان شهزاد

ترجمة إلى العربية: أ. عثمان فاروق

هل كانت قريش تخشى خلافة بني هاشم؟

(ردًّا على تعليق للدكتور محمد عمار خان ناصر)

(الحلقة الأولى)

[هذا العمود المعنون بـ"وجهات نظر" مخصص لكتابات مختلف أصحاب الفكر وتعبر عن آراء أصحابها وليس من الضروري أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته.]

في العصر الجاهلي، كانت القيادة الدينية والسياسية لقريش بيد بني عبد مناف. وكانت القيادة السياسية بيد بني عبد شمس واستمرت في ذرية ابنهم أمية، بينما كانت المسؤوليات الدينية على عاتق بني هاشم. وكان هذان القبيلتان يعتبران حليفين ومتحدين ضد أعدائهما بسبب العصبية المشتركة. وبسبب الزواجات المتبادلة بينهما، أصبحا أقارب بالقرابة والصهر. وغالبًا ما كان زعماؤهما أصدقاء مقربين وحماة لبعضهم البعض.

وحين بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم، اجتمعت في شخصه القيادتان الدينية والسياسية معاً، فارتفعت مكانة بني هاشم إلى ذروة لم يسبق لها مثيل في قريش. وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم، رأت بطون بني عبد مناف أن استمرار الزعامة فيهم امتداد طبيعي لما كان عليه الحال من قبل، واشتدّ لدى بني هاشم خاصة الشعور بأن الخلافة ينبغي أن تبقى فيهم، لأنهم أول من نال

شرف الجمع بين الدين والسياسة. غير أن التحدي الذي واجهوه تمثل في غياب شخصية هاشمية مؤهلة للقيادة تحظى بقبول واسع بين المسلمين. وكان المرشح الوحيد الممكن هو سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان آنذاك شاباً في الثلاثين من عمره، لم يعرف له تاريخ سياسي سابق، وإن كانت صلته الوثيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم من جهة النسب والمصاهرة تؤهله للترشيح من الناحية الاجتماعية. إلا أن التحول الجوهري الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم في مفهوم القيادة جعل من معاييرها الإيمان والسابقة في نصرة الدعوة، لا العصبية والنسب. فقد أصبحت الكفاءة الإيمانية والعملية معيار الأحقية في تولّي شؤون الأمة. وفي ضوء هذا المعيار، برز سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه من بني تيم وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بني عدي، وهما من البطون الأقل نفوذاً في قريش، غير أن مكانتهما الرفيعة في الإسلام وسوابقهما في خدمة الدعوة جعلاهما الأوفر حظاً في تولي الخلافة. وبذلك، لم يكن امتناع الخلافة عن بني هاشم ناتجاً عن خشية قريش من سلطتهم، بقدر ما كان تعبيراً عن تحول جوهري في معايير الزعامة داخل الجماعة الإسلامية، حيث غلب الاعتبار الديني والأخلاقي على الاعتبار القبلي والموروث السياسي.

كان بنو هاشم وبنو أمية قد تولّوا الزعامة في قريش قبل الإسلام، غير أن موقفهم من الدعوة الإسلامية في بداياتها اتّسم بالمعارضة والتردد؛ إذ تأخر كثير من زعمائهم في الدخول في الإسلام، بل وقف بعضهم موقف العداء الصريح من النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته. ولهذا السبب لم يكن هؤلاء الزعماء، في نظر الجماعة الإسلامية الناشئة، أشخاصاً مؤهلين للقيادة في مرحلة ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. فقد حاول العباس بن عبد المطلب، سيد بني هاشم، ومعه أبو سفيان بن حرب، سيد بني أمية، وحليفهما من بني أسد، الزبير بن العوام وهو ابن صفية بنت عبد المطلب، عمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا باتجاه مبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة النبي مباشرة، باعتباره أفضل مرشح متاح من بني هاشم آنذاك.

أما سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو من بني أمية، فكان من كبار الصحابة سنّاً ومكانة، وقد عرف بسخائه ومواقفه المالية العظيمة في خدمة

الإسلام، مما جعله محبوباً بين المسلمين، وكان، من حيث المكانة الاجتماعية والانتماء إلى بني عبد مناف، أقرب إلى مواصفات المرشح المقبول للخلافة. ومع ذلك، لم يكن عثمان في ذلك الوقت مرشحاً فعلياً للخلافة، ولم يكن المسلمون على استعداد لتقديمه على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، لما لهما من سابقة راسخة في الدعوة والصحبة والموقف. ومن ثمّ، برز سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرشحاً للخلافة، رغم حداثة سنّه وقلة خبرته السياسية، لأنّه كان المرشح الوحيد من بني هاشم الذي يجمع بين القرابة الوثيقة من النبي صلى الله عليه وسلم والسمعة الدينية العالية بين المسلمين.

عندما تمّ اختيار الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه باتفاق الرأي، عادت الزعامة القرشية مجدداً إلى بني عبد مناف، إذ كان عثمان من بني أمية، أحد فروعهم البارزة. غير أنّ بني هاشم ظلّوا مع ذلك بعيدين عن منصب الخلافة.

وفي المرحلة التالية، حين تولّى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة أخيراً، لم تجمع قريش على مبايعته، بل امتنعت فئات مؤثرة منها عن الاعتراف بشرعيته. ولم يكن امتناعهم هذا، في جوهره، نابعاً من حسد أو تنافس قبلي فحسب، بل كان له أسباب سياسية واجتماعية مباشرة؛ إذ رأى كثير منهم أن تأخر علي رضي الله عنه في الاقتصاص من قتلة عثمان، وما اعتبروه ميلًا منه إلى الثوّار الذين شاركوا في الفتنة، جعلا موقفه موضع ريبة وتردد.

ومع ذلك، تولّد انطباع عام، خاصة في الروايات اللاحقة، بأن قريشاً كانت منذ البداية تسعى لإقصاء بني هاشم عن الخلافة. وقد استند أنصار هذا التصور إلى بعض الآثار التي ورد فيها ذكر ذلك عن علي وعمر رضي الله عنهما، وإلى الحادثة الشهيرة في سقيفة بني ساعدة، حين تدخّل سيدنا عمر رضي الله عنه لفضّ اجتماع لبني عبد مناف كانوا يتشاورون في مبايعة سيدنا علي رضي الله عنه خليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم. وهكذا، اختلط في الروايات التاريخية العامل السياسي الآني الذي نشأ عن ظروف الفتنة بقراءات لاحقة حمّلت الأحداث بعداً قبلياً، في حين أن طبيعة الخلاف في أصله كانت أقرب إلى الاختلاف في الاجتهاد السياسي منها إلى التنازع العشائري.

فيما يتعلّق بموقف قريش المذكور تجاه بني هاشم، روي عن سيدنا علي رضي الله عنه الأثر الآتي:

"فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لما تخرج منهم أبدا، وإذا كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم." (تاريخ الطبري، ٤/٢٣٣)

الأثر المنقول عن سيدنا عمر رضي الله عنه هو كما يلي:

"قال ابن عباس: خرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنا لنسري ليلة. وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال:

كذبتم وبيت الله يقتل أحمد و لما نطاعن دونه و نناضل

ونسلمه حتى نصرّع حوله و نذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال: استغفر الله، وسار فلم يتكلّم إلا قليلا ثم قال:

وما حملت من ناقة فوق رحلها أبرّ و أوفى ذمة من محمّد

وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد

ثم قال: استغفر الله يا بن عباس، أبوك عمّ رسول الله، وأنت ابن عمّه، فما منع قومكم منكم؟ قال: قلت: لا أدري. قال: لكني أدري، يكرهون أن تجتمع فيكم النبوّة والخلافة." (أنساب الأشراف، للبلاذري ١٠/ ٣٧٨)

استنادًا إلى تلك الآثار، يرى الدكتور محمد عمار خان ناصر أن انتخاب سيدنا علي رضي الله عنه خليفة للمسلمين لم يكن ممكنًا في ظل وجود شخصيات جليلة القدر وعظيمة المنزلة مثل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، إلا أنه يذهب إلى أنه حتى لو وجد في بني هاشم من يماثل هذين الشيخين في الفضل والمقام، لتجنّبت قريش اختياره للخلافة.*

للحديث صلة ...

---

* انظر: سلسلة الفيديو "تفهيم الآثار"، الحلقة ٥٦

https://youtu.be/lfUEt_AR0Wg?si=w78c0zUMGRLTxJkG

الشيخ نياز الفتحبوري *
اقتباس وتهذيب: إدارة التحرير

تاريخ الحضارة الإسلامية في سطور

بفضل ظهور الإسلام، تبددت غيوم الانحطاط عن جزيرة العرب، إذ أنّ النبي ﷺ كان قد شهد بأمّ عينه ما وصلت إليه أمّته العربية من انحطاطٍ فكريّ وأخلاقيّ، فاعتبر إصلاحها الهدف الأسمى لحياته. وبعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، انشغل الخليفة الراشد الأوّل بمحاربة فتنة الردّة واستئصالها، ثم جاء عهد الخليفة الثاني الذي تميّز بتنظيم شؤون الدولة وإدارة الحكم، أمّا عهد الخليفة الثالث فقد طغت عليه الاضطرابات الداخليّة. وفي عهد الخليفة الرابع القصير انقسم المسلمون إلى فئتين، ثم تحوّلت الخلافة في العهد الأموي إلى مُلكٍ وراثيّ، غير أنّ الاهتمام بالعلوم والفنون بدأ يزدهر في ذلك الحين.

وفي العصر الأموي وُضعت بذور الفكر الاعتزاليّ ومبحث الجبر والقدر، وازدهرت الخطابة والشعر والتعليم والعلوم العقليّة، كما نشطت الفنون كالتصوير والنقش والموسيقى.

أمّا العصر العبّاسي فكان العصر الذهبيّ للإسلام علماًو ثقافةً وتمدناً، بل إنّ النهضة الأوروبيّة مدينة له بالكثير. ففي هذا العهد ترجم المسلمون أهمّ المصنّفات اليونانيّة، وأبدعوا مؤلّفاتٍ أصيلة في الطب. فكتب ابن ماسويه في أمراض العيون كتابه:

"دخل العين"، وحنين بن إسحاق " المقالات العشرة في العين"

وكان الطبيب جبرائيل بن بختيشوع، طبيب هارون الرشيد والمأمون والبرامكة، من أشهر أطباء عصره، حتى قيل إنّه كان يملك ما يقارب ثمانية ملايين وثمانمئة وثمانين ألف درهم.

كما ابتكر العرب فنّ الصيدلة. وكان من أعلام الطبّ والكيمياء:

جابربن حيّان، الرازي، علي الطبري، وابن سينا.

ومن فلاسفة الإسلام البارزين الكندي، الفارابي، وابن سينا، وظهرت جماعة إخوان الصفا التي ألّفت رسائل في الرياضيات والفلك والجغرافيا والموسيقى والأخلاق والفلسفة. وفي عهد المأمون تمكّن العلماء من قياس محيط الأرض وقطرها، وبرز علماء عديدون من أمثال البيروني، عمر الخيّام، نصير الدين الطوسي، أبو معشر البلخي، والخوارزمي في الفلك والحساب والتقويم.

وفي علم الحيوان ألّف أبو عثمان الجاحظ كتابه "حياة الحيوان" وفي الجغرافيا ألّف ابن خرداذبه والأصطخري كتاب المسالك والممالك وفي علم الآثار كتب الحسن الهمداني كتابيه الإكليل وصفة جزيرةالعرب" "

وفي التاريخ برز ابن إسحاق المدني بكتابه في فن سيرة النبي الذي اشتهر باسم مغازي ابن اسحاق والذي هذبه بعدُ تلميذه ابن هشام. واشتهرابن سعد بكتابه "الطبقات" وابن الحكيم بكتابه فتوح مصروأخبارها.والطبري بعمله الجليل تاريخ الرسل والملوك."

مروج الذهب. كما لُقّب أبو الحسن المسعودي بـ"هيرودوت العرب وذاع صيت كتابه

وفي فنّ التراجم والتاريخ الأدبي لمع ياقوت الحموي، ابن عساكر وابن خلّكان، وفي هذا العصر جُمعت الصحاح الستّة ودُوّنت مذاهب الفقه الإسلاميّ، ونتيجةَ اختلاف الأحاديث تبلورت المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، الشافعية، المالكية، والحنبلية.

بدأ الأدب الخالص يزدهر من عهد الجاحظ، ومن أبرز شعراء ذلك الزمان أبو نواس، أبو تمام، أبو العتاهية، ابن الورد، وبشار بن برد.

كما أُنشئت مؤسسات علمية كـ بيت الحكمة في بغداد الذي أسّسه الخليفة الأمين ورقاها بعده المأمون، والمدرسة النظاميّة التي أسّسها نظام الملك الطوسي.

وبلغت الفنون المعمارية والنقش والخط والموسيقى قمّة تطوّرها.

وفي الأندلس (عام ٧١١م إلى عام ١٤٩٢م)، أحرز المسلمون تقدّمًا عقليًا كبيرًا. فاشتهر في الطبّ واللغة أبوعلي القالي ومحمد بن الحسن الزبيدي، وكان ابن حزم من كبار العلماء، إذ ألّف أكثر من أربعمئة كتاب في مختلف العلوم الدينية

والثقافية.

وكانت قرطبة، غرناطة، إشبيلية، ومالقة من أعظم المراكز العلمية، وضمت الأندلس العديد من المكتبات.

وكان من مؤرّخيها ابن قوطية وابن حيان، ومن علماء النبات والأدوية الغافقي وأبو زكريا ابن قدامة، ومن الفلاسفة والأطباء أبو القاسم الزهراوي، ابن رشد، ابن ميمون، ابن باجّة، وابن طفيل.

تميّزت الأندلس أيضًا بالصناعات اليدوية والهندسة المعمارية، واشتهر في الموسيقى زرياب وابن وبحلول القرن الثالث عشر الميلادي، كانت منجزات علماء الإسلام قد تُرجمت إلى لغات أوروبا، فبدأت نهضتها الفكرية. وقال الرحّالة الهولندي دوزي إنّ أكثر سكان الأندلس في ذلك العصر كانوا يعرفون القراءة والكتابة.

وفي العصر الفاطمي (٥٦٧–١١٧١م) لم يُسجّل تقدّم علميّ كبير عدا الشعر، غير أنّ عهد المعزّ كان زاهرًا. وبرز في البصريات ابن الهيثم وعمّار الموصلي.

أما العصر الأيوبي (١١٦٩–١٢٥٠م) فكان عصر الحروب الصليبية والنزاعات الداخليّة، ثم جاء عصر المماليك (١٢٥٠–١٣٩٧م) الذي عُدّ عصر تراجعٍ سياسيّ، وإنْ ازدهرت فيه العلوم الرياضيّة والطبيعيّة. وفي التاريخ لمع أبو الفداء، ابن تغري بردي، السيوطي، والمقريزي، وفي علوم الدين ابن تيمية وابن حجر العسقلاني.

وفي العهد الغزنوي (٩٦٢–١١٨٦م) ازدهرت العلوم والآداب ازدهارًا كبيرًا، وكان الحكّام يجلّون العلماء، ومن أبرز أعلامهم البيروني، أبو محمد، الشيخ نظامي، وسيد حسن الغزنوي.

أما آل بويه (٩٣٢–١٠١٥م) فقد أنشؤوا الأنهار والمساجد والمستشفيات والمكتبات، وظهر في عصرهم مسكويه وإخوان الصفا،وفي العصر السلجوقي (١٠٣٧–١١٥٦م) نشط العمران والخدمات العامّة، وأُسّست المدارس الكبرى. ثم جاء العهد الخوارزمي الذي دام قرابة ١٥٥ سنة حتى اجتاحه جنكيز خان، فلم يُعرف فيه أثر كبير للعلم والفن.

وفي النهاية، كان الحكم الإسلامي في الهند من سنة ١٠٤٨ إلى ١٨٥٧م، ولم يُسجَّل خلاله ازدهار علميّ أو فكريّ يُذكر. فقد كان العلماء في الغالب متشدّدين دينيًّا، مهتمّين بشروح الكتب القديمة وحواشيها أكثر من التأليف والإبداع الجديد.

ومع ذلك، ازدهر الشعر والغناء، غير أنّ حكّام الهند المسلمين لم يكونوا بمستوى أسلافهم في الفكر والعلم والقيادة.

(مستفادة وملخّصة من كتاب "إسلام وعلماء إسلام" باللغة الأردية للشيخ نياز فتحبوري)

---

* يعدّ الشيخ نياز فتحبوري (١٩٦٦-١٨٨٤) من أبرز أعلام الأدب والفكر في شبه القارة الهندية، حيث جمع بين موهبة الشاعر، وعمق المفكّر، وبراعة الكاتب والناقد. لقد كان في آن واحد شاعرًا، وقاصًّا، وناقدًا، ومفكّرًا، وعالمًا، وخبيرًا في علم النفس، وصحفيًا، ومترجمًا، ومجاهدًا بالقلم حاملًا الفكر العقلاني. وقد احتوت شخصيته العبقرية على بحور واسعة من العلم والمعرفة، تشهد على اتساع مداركه وعمق رؤاه.

ولد عام ١٨٨٤م في باره بنكي بولاية أتر برديش بالهند. تلقّى علومه في المدرسة الإسلامية بـ فتحبور، ثم في المدرسة العالية برامبور، قبل أن ينتقل إلى دار العلوم ندوة العلماء لكنؤ لاستكمال تكوينه العلمي. وفي عام ١٩٢٢م أسّس المجلة الأدبية والفكرية الشهيرة "نگار" التي غدت منبرا مؤثّرا في الساحة الثقافية. كان الشيخ فتحبوري مؤلفًا لما يقرب من ٣٥ كتابًا، من أبرزها: "من و يزدان"، و"نگارستان"، و"شهاب كى سرگزشت"، و"جمالستان"، و"انتقاديات".

تقديرًا لعطائه الفكري الغزير، منحته الهند عام ١٩٦٢م وسام "پدما بهوشن". وفي ٣١ يوليو ١٩٦٢م هاجر إلى كراتشي، حيث كرّمته حكومة باكستان بمنحه "نشانِ سپاس".

أصيب لاحقًا بمرض السرطان، فوافته المنية في ٢٤ مايو ١٩٦٦م، تاركًا أثرًا باقياً في الفكر والأدب، وإرثًا لا يزال حيًّا في الذاكرة الثقافية.

بقلم: الدكتور محمد سعد سليم
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

توافق علامات القيامة في الحديث النبوي مع الأحداث التاريخية في ضوء الكتاب المقدس والقرآن

(الحلقة السادسة)

استخراج الدجال الكنوز من الأرض الخراب: استخراج الموارد من المناطق النائية في الاتحاد السوفييتي (بعد ١٩٣٣م)

ورد في الحديث[٩٦] أن الدجال يمر بأرض خراب فيقول: "أخرجي كنوزك"، فتخرج كنوزها وتتجمع حوله كما تتجمع النحل. ويشبه هذا المشهد ما قام به الاتحاد السوفييتي بعد تثبيت سلطته الأيديولوجية، حيث توجه إلى مناطق بعيدة ومهجورة مثل سيبيريا وآسيا الوسطى وجبال الأورال، وبدأ عمليات واسعة لاستخراج الموارد الطبيعية منها. وخلال الخطة الخماسية الثانية (١٩٣٣م - ١٩٣٧م)، استخرج الذهب، والفحم، والنفط، وسائر المعادن باستخدام العمل القسري والتصنيع المركزي، وجمعت هذه الثروات في قلب الدولة كما لو أنها انقادت لأمر واحد كما في حديث الدجال. واستمرت هذه السياسة لتكون محور الاقتصاد السوفييتي في العقود التالية.

إقامة الدجال خارج المدينة : فشل النفوذ السوفييتي في العالم الإسلامي (النصف الثاني من القرن العشرين)

ورد في الحديث أنّ الدجال ينزل خارج المدينة، لكن لا يستطيع دخولها، لأن الملائكة تحرسها، ثم تصرفه الملائكة نحو الشام حيث يقتل.[٩٧] ويفهم من "المدينة"

هنا أنّها ليست مجرد موقع جغرافي، بل تمثل الأمة الإسلامية كلّها، كما كانت المدينة في عهد النبي ﷺ مركز الدولة الإسلامية. وأما الشام، فقد كانت آنذاك تحت سيطرة الروم، وهي ترمز إلى العالم المسيحي. وعلى هذا الأساس، يمكن تأويل الحديث بأنّ الدجال، بعد فشله في الدخول إلى المدينة (أي فشله في السيطرة على الأمة الإسلامية)، يتوجه إلى الشام (أي العالَم المسيحي)، وهناك يكون هلاكه. فبعد الحرب العالمية الثانية، ظهر الاتحاد السوفييتي كقوة عالمية، وسعى إلى توسيع نفوذه عالميًا، بما في ذلك محاولات إدخال العالم الإسلامي في الكتلة السوفييتية، ونشر الشيوعية فيه. لكن الطابع الإلحادي للنظام السوفييتي كان في تناقض حاد مع طبيعة المجتمعات الإسلامية المحافظة والمتدينة. وهذا التناقض الأيديولوجي حال دون انتشار الشيوعية في البلدان الإسلامية، كما أن محاولات السيطرة عليها باءت بالفشل. وهكذا، لم يستطع الدجال دخول المدينة.

ثلاث هزات في المدينة: الأزمات السياسية والفكرية الكبرى التي واجهت الأمة الإسلامية

جاء في الحديث[٩٨] أنّ المدينة ترتجف ثلاث مرات، فيخرج منها كل منافق وكافر ليلحق بالدجال. ويمكن تأويل هذه الهزات بثلاث وقائع تاريخية مفصلية:

١. قيام إسرائيل والنكبة (١٩٤٨م)

بعد إعلان قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨م، تم تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين من ديارهم في كارثة تعرف بـ"النكبة". دمّرت مئات القرى، وتحوّل الفلسطينيون إلى لاجئين. ورأت الأمة الإسلامية هذا الحدث ظلمًا عظيمًا بدعم مباشر من القوى الغربية. هذا الزلزال السياسي والفكري زعزع المجتمعات العربية، ودفع كثيرًا من الشباب والمفكرين إلى الانضمام للحركات الشيوعية، بحثًا عن وسيلة للمقاومة والانعتاق من الهيمنة الغربية.

٢. أزمة السويس (١٩٥٦م)

عندما شنّت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل عدوانًا على مصر في أزمة قناة السويس سنة ١٩٥٦م، لجأت مصر إلى الاتحاد السوفييتي طلبًا للدعم السياسي والدبلوماسي. وكانت هذه أول مرة تعتمد فيها دولة عربية علنًا على القوة السوفييتية. ساهم هذا الحدث في تعزيز حضور الفكر اليساري في الشرق الأوسط، وأدى إلى صعود

تيارات قومية واشتراكية مثل حزب البعث في العراق وسوريا، وتأسيس دولة شيوعية في جنوب اليمن.

٣. حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧م

في حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧م، منيت الجيوش العربية بهزيمة قاسية أمام إسرائيل، ما شكّل ضربة عنيفة لحلم القومية العربية. وأدى هذا الانكسار إلى موجة جديدة من اليسارية الثورية، ظهرت فيها فصائل ماركسية ضمن حركات المقاومة الفلسطينية، كان أبرزها "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين" التي تبنّت صراحة الطريق الثوري المدعوم سوفييتيًا.

مقاومة بني تميم للدجال: آل الشيخ والشيوعية

تنبأ النبي ﷺ بأن بني تميم سيكونون ثابتين في مواجهة الدجال.[٩٩] وهذا القبيل، الذي ينتشر في السعودية والعراق ودول الخليج، برز لاحقًا كرمز للمقاومة الفكرية والاجتماعية للشيوعية. لقد واجه بنو تميم الأيديولوجيا المادية والإلحادية للشيوعية بإحياء العقائد الإسلامية والتقاليد القبلية. وتزداد رمزية هذه النبوءة حين نعلم أن آل الشيخ، المنحدرين من الإمام محمد بن عبد الوهاب، ينتمون إلى بني تميم.[١٠٠] وفي السعودية، وبفضل التأثير الفكري لآل الشيخ، اعتبرت الشيوعية لادينية ومعادية صريحة للإسلام، وكان أي تحالف مع الاتحاد السوفييتي يعد مرفوضًا عقائديًا وغير مقبول دينيًا.

للحديث صلة ...

الهوامش:

٩٦- Sahih Muslim 2937a: https://sunnah.com/muslim:2937a

٩٧- Sahih Muslim 1380: https://sunnah.com/muslim:1380

٩٨- Sahih Bukhari 7124: https://sunnah.com/bukhari:7124

٩٩- Bukhari 2543: https://sunnah.com/bukhari:2543

١٠٠- https://en.wikipedia.org/wiki/Muhammad_ibn_Abd_al-Wahhab

المختارات

الكاتب: الإمام المحدّث شبيرأحمد أزهر الميرتهي
أخذ وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

كلمات هامة في تفسير السعادة والشقاوة

(الحلقة الأولى)

(مقتطف من شرحه الحافل تحفة القاري بشرح صحيح البخاري)

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدار سين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعّالة والموثوقة. وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

قال الإمام البخاري رحمه الله:

حدثنا عثمان قال ثناجريرعن منصورعن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال:كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: مامنكم من أحد أوما من نفسة منفوسة إلاكتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقيةً أو سعيدةً، فقال رجل يارسول الله أفلانتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ (فقال: إعملوا فكل ميسر لما خلق له كماجاء في روايات كثيرة) قال: أما أهل السعادة فسييّسرون لعمل

(أهل) السعادة وأما أهل الشقاوة فسييسّرون لعمل (أهل) الشقاوة. ثم قرأ: فأما من أعطى واتقى الآية. ص ١٨٢وجرير هو ابن عبد الحميد.

قال الخازن رحمه الله في تفسيره "الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الأمور الإلهية للإنسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها. ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة أخروية وهي السعادة القصوى لأن نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين شقاوة دنيوية وشقاوة أخروية وهي الشقاوة القصوى لأن نهايتها النار. (تفسير الخازن سورة هود)

وبيان ذلك أن السعادة تطلق على ثلاثة أمور:

١- موافقة الحالات في المقاصد الحسنة.

٢- نيل المنافع والبركات في المكاسب أي التجارة والزراعة والحرفة.

٣- الصيت الحسن والشهرة بالخير في الحياة الدنيا. والشقاوة على أضدادها ومثل ذلك:

ولدان دخلا المدرسة للتعلم، أحدهما ذكي مجتهد سليم من أسقام وأمراض لاتستقبله صعوبة في النفقات التعليمية، فيصير بعد سنوات متحلياً بالعلم وينجح في العلوم بدرجة ممتازة. وأما الثاني فغبي بليد أو غير مجتهد يضيع في اللهو واللعب. أو لزمته أمراض أو يعجز كفيله عن تقديم النفقات الواجبة فلهذه الأسباب العائقة بعضها أو كلها ينقطع عن التعلم. فالولد الأول سعيد في العلم والثاني شقي فيه. أخذ رجلان في وقت واحد بموضع في تجارة وبضاعتهما متساوية واشتغلا فيها إلى ثلاث سنوات ،فإذا أحدهما قد ربحت تجارته واكتسب بهما مالاً وافراً. وخسر الثاني حتى هلكت بضاعته فالأول سعيد في التجارة والثاني شقي فيها. أخوان شقيقان ولد أحدهما حسن الصورة تام الخلق ونبت بالعافية نباتاً حسناً حتى شب وترعرع محبباً في قلوب أهل قريته فخطب له أبوه جارية جميلة في أسرة مؤسرة فقبلوا خطبته وزوجوه إياها. والثاني ولد أكمه مشوه الخلق وصار يبتلي بمرض عقب مرض ويقع في آفة إثرآفة حتى شب ضعيفاً منهوك القوة وخطب له أبوه فردت خطبته. فالأول سعيد في حياته والثاني شقي فيها.فهذه أمثلة على السعادة والشقاوة الدنيوتين. وانظرفي الأمثلة التالية:

رجل مؤمن قضى حياته في طاعة الله عزوجل وطاعة رسوله ومات على إيمانه

وطاعته فهو يدخل الجنة مكرماً مبجلا مرضياً عند الله تعالى فهو سعيد في الآخرة. ورجل كافر لم يقبل هدي الله وقضى حياته في الكفر والفسق ومات على ذلك فسيصلى جهنم مذموماً مدحوراً فهو شقي في الآخرة. والدنيا فانية ومنافعها ولذاتها وسعاداتها فانية، والآخرة باقية أبدية وكذلك منافعها وراحاتهاونعيمها. فسعادة الدنيا ليس بشيئ يذكربجنب سعادة الآخرة ،فمن كان سعيداً في الآخرة فهو أسعد وإن عاش في الدنيا محروماً من السعادات الدنيوية ومن كان شقياً في الآخرة فهو الشقي وإن كان قد صبت عليه السعادات في الدنيا.

فثبت بهذا البيان أن السعادة الدنيوية والسعادة الأخروية لاتتلازمان. وكذلك الشقاوة الدنيوية والشقاوة الأخروية. فمن الناس من يكون سعيداً في الدارين الدنياوالآخرة معاً، ومنهم من يكون شقياً في الكونين معاً "خسرالدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين"ومنهم من يعيش سعيداً في الدنيا وماله في الآخرة من نصيب من السعادة، ومنهم من يكون شقياً في الدنيا سعيداً في الآخرة.

والفرق بين السعادتين وبين الشقاوتين أن الله تعالى قد أوجب على كل مكلف أن يأخذ مايُسعده في الآخرة وهو الإيمان والعمل الصالح. ولاتحصل السعادة الأخروية لأحد من المكلفين إلا بهذا السبب الوحيد. ولايمكن أن تحصل لمن مات كافراً عاصياً ومحال أن لاتحصل لمن مات مؤمناً مسلماً. وقد حرم الله عزوجل على كل مكلف أن يتمسك بما يشقيه في الآخرة وهو الكفر والفسق. لاتتحقق الشقاوة الأخروية إلابهذا السبب الوحيد. يمتنع أن تمس تلك الشقاوة من مات مؤمناً مسلماً ويستحيل أن يجنبها من مات كافراً فاسقاً.

وأما السعادات الدنيوية والشقاوات الدنوية فماأوجب الله على أحد أن يظفر بالسعادة ولاحرم على أحد أن يبتلي بالشقاوة. ولامعنى للإيجاب والتحريم فيها إذ كان الأمرأن السعادة الدنيوية لاتدل على أن صاحبها مقبول عند الله ولاالشقاوة الدنيوية تنبئ أن صاحبها مردود عند الله. ووجه هذا الفرق أن مايسعد العبد المكلف في الآخرة -وهو الإيمان-ومايشقيه في الآخرة -وهو الكفر- في اختياره فإن شاء اختار الإيمان والعمل الصالح ليسعد في الآخرة وإن شاء استحب الكفر والفسوق فيشقى في الآخرة. ولكن الحصول على سعادة دنيوية أو الوقوع في شقاوة دنيوية ليس في اختيار الإنسان. إن الإنسان يجتهد ويسعى ليحصل على

سعادة دنيوية ويبتعد عن شقاوة دنيوية فقد ينجح في مرامه وقد يخيب.ولايلزم أن يكون ناجحا وإنما نجاحه في سعيه موكول إلى مشيئة الله وحكمته وقضاءه.

وأما من اجتهد وسعى للحصول على السعادة الأخروية فآمن وعمل الصالحات فهو ناجح في مرامه لامحالة لايمكن أن يخيب. وعداً من الله والله لايخلف الميعاد-قال الله تعالى- من كان يريد العاجلة عجلناله فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلناله جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن آراد الآخرة وسعى لهاسعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً (الإسراء: ١٧-١٨) وقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب. (الشورى: ٢٠)

فمن الممكن بل من الواقع الذي وقع ويقع كثيراً في العرب والعجم أمصار الارض وقراها حضرها وبدوها أن يبذل رجل ماعنده من الجهود ويُفرغ مالديه من المساعي ليعيش في الدنياغنياً ثرياً ولكن لايزال يخيب في آماله حتى يدركه الموت وهو فقير مسكين، ولايمكن أن لايدرك السعادة الأخروية من ثبت واستقام على إيمانه وإسلامه إلى أنفاسه الأخيرة.

فلذلك أقول- والحق أقول- إن الله عزوجل قد جعل السعادة والشقاوة الأخروية تحت تشريعه وترك السعادة والشقاوة الدنيويتين تحت تكوينه. والفرق بين السعادتين أن سبب المفضي إلى السعادة الأخروية واحد-وهو الإيمان-وكذلك السبب المفضي إلى الشقاوة الأخروية واحد-وهو الكفر-والإيمان والكفرمن أعمال العبد الاختيارية. وأما الأسباب الموصلة إلى السعادة الدنيوية والأسباب الموقعة في الشقاوة الدنيوية فكثيرة لاتعد ولاتحصى وأكثرها خارج عن حيطة قدرة الإنسان واختياره. أنظر إلى الحرث أليس أن الأسباب الموصلة إلى النجاح للحارث في حرثه ليس في اختياره وقدرته إلا قليل منها. وغالبها ممالايقدر عليه أصلا. والأسباب التي هي في دائرة قدرته واختياره يهديه فيهاشرع الله إلى الرشد والصواب ويجعل له حدودا ويحرم عليه أن يتجاوزها. وأما الأسباب التي هي خارجة عن حيطة قدرته واختياره فشرع الله لاينطق له فيها بشيئ. ألا ترى أنك مأمور بأن الأرض التي تحرث فيها تكون جائزة الحرث غير مغصوبة أو مسلوبة من أحد بغير حق. والبذور التي تلقي فيها تكون مملوكة لك لامغصوبة ولامسروقة ولامأخوذة بغير حق. ولكنه لايأمرك بأن تنزل المطرعلى حرثك بعد الزرع بكذا

مدة أو تنمي زرعك في عشرة أيام كذا وفي عشرين يوماً كذا. فأن شرع الله وأمره ونهيه لايتعلق إلا بفعل يكون في قدرة المكلف واختياره.

وإنما عين الله السبب الموصل إلى السيادة الأخروية أو الشقاوة الأخروية ولم يعين أسباب السعادة الدنيوية لأن العبد قاصر وعاجز عن إبداء حيلة مفضية إلى السعادة الأخروية. وأما السعادات الدنيوية فإن العقل يهدي ويرشد الإنسان إلى أسبابها ويستفيد الإنسان في ذلك بتجاربه وتجارب غيره وبالعلم والتاريخ وتشاور الناس. فيستطيع الإنسان أن يجتهد للحصول على السعادات الدنيوية بدون نور الوحي ولايستطيع أن يجتهد للحصول على السعادة الأخروية بدونه. فأجرى سلسلة الوحي والنبوة هدىً وإرشاداً للناس إلى السعادة الأخروية وجعلها منوطة باتباع رسوله. وأما أسباب السعادة الدنيوية ففوضها إلى انتخاب العباد واختيارهم وشرع لهم أصولاً وضوابط تمنعهم مراعاتها عن الظلم وإتلاف الحق كيلا يقع الإنسان بالتخيل للحصول على سعادة دنيوية في شقاوة أخروية. وإذ كان الله تعالى مرشداً وهاديا لعباده إلى ماتحصل لهم به السعادة الأخروية فهو أمريقيني لا ريب في أنه مستلزم لها. وإذ كان الإنسان هو المهتدي بعقله وعلمه وتجربته وفهمه إلى مايوصله إلى السعادة الدنيوية فهو أمرظني فتارة ينجح في مرامه وتارة يخيب.

والفرق الثالث بين السعادتين وبين الشقاوتين أن السعادة الأخروية تكون جزاء يجزي الله بها عبده المؤمن الصالح وكذلك الشقاوة الدنيوية لايلزم أن تكون جزاءً على الكفروالفسق.ولكن الله ربط السعادة الدنيوية والشقاوة الدنيوية بأعمال العبد الدنيوية غالباً،وطواهما في ستورها. فمامن أحد من المكلفين إلا وهو مضطر إلى أن يعمل أعمالاً مناسبة للسعادة والشقاوة سواء أكان جبرياً قائلاً بالجبر المحض أو قدريا قائلاً بأنه قادرمطلق يفعل مايشاء. كل إنسان يكشف بأعماله الستر عن سعادته أو شقاوته ولهذالم يكن قط ولايكن عوض من البشر من تعطل عن العمل، وهو صحيح البدن سليم الأعضاء غير مريض. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسرفمن كان من أهل السعادة فييسرلعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فييسرلعمل أهل الشقوة.

(يتبع ...)

الدكتور محمد عامر القَزدر

نزاع العلماء في حكم ملازمة البيت للمرأة المسلمة سلفًا وخلفًا

(الحلقة الثانية)

المبحث الثاني: مناقشة أدلة الفريقين مع بيان ترجيح الباحث

يتحقق لدى الباحث بعد دراسة أدلة الطرفين في المسألة، والنظر فيها بدقة، أن الموقف الثاني هو أرجح دليلاً، وأقوم قيلاً نظراً إلى قوة ورجحان أدلته وسلامته من القوادح في مقابل ضعف أدلة الموقف الأول، فإليكم بيان اعتبارات مرجحة له فيما يلي:

- إن القول بتعميم أمر القرار في البيت إلى عامة نساء المسلمين مبني على استنباط أصحاب الموقف الأول، وفهمهم الذاتي، لا يستند إلى دليل صريح من النص القرآني كما لا يُستدل عليه بأي حديث نبوي صريح ثابت، وكذلك لم يُرو هذا الموقف في المسألة من أيّ صحابي قط.
- لو كانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أسوة لعامة نساء المسلمين وقدوة في هذا الحكم، لبينه النبي صلى الله عليه وسلم ، واقتدت بهن كرائم الصحابيات في عصر الرسالة، ومن المعلوم أنه ليس لأصحاب هذا الاتجاه أي دليل من هذه الناحية أيضًا في الأحاديث والوقائع المروية من عهد الرسالة.

• إن القول بجعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أسوة لعامة النساء في هذا الحكم يُبطله قول الله في نسق التلاوة: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾، ويمنع منه.

• أما الأحكام الأخرى الواردة في السياق، فمنها ما جاءت لطلب الاهتمام الخاص بها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، ولا يعقل أحد أنها وردت هنا في معنى ابتداء الفعل قط؛ لأنه لا شك في أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كن يمتثلن هذه الأحكام الأساسية في حياتهن قبل نزول هذه الآيات أيضًا، وكذلك كان سائر المسلمين والمسلمات يمتثلونها؛ لأنها لم تنزل ههنا أول مرة في الإسلام، فتحقق منه أن الاستدلال بعمومية هذه الأحكام على أن الأحكام الأخرى الواردة في هذا السياق أيضًا عامة لجميع نساء المسلمين استدلال خاطئ.

• وأما الحكم بعدم التبرج في سياق هذه الآيات فهو أيضًا خاص بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لخصوصية الخطاب، وسياق الآيات بهن، والأوضاع الخطرة المعينة لهن بالخصوص، وهذا الحكم لم ينزل لنساء النبي صلى الله عليه وسلم لما أنهن كن يتبرجن -والعياذ بالله-، بل كانت نساء رؤساء العرب يفعلنه في الجاهلية، ولما أن زوج هؤلاء النساء الطاهرات-يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان أعظم من كل أولئك الرؤساء والشرفاء، ففي هذا الحكم تنبيه لهن خاص نظرًا إلى منزلتهن الرفيعة في المجتمع، وشرفهن الكبير. أما عامة النساء - على جانب آخر- فعليهن أيضًا أن لا يتبرجن، ولا يظهرن زينتهن للأجانب، ولكن مصدر الحكم لهن في الشريعة ليس هذه الآية، بل هو قوله في سورة النور: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور:٣١].

• وأما حكم النهي عن الخضوع في الكلام مع الأجانب، فليلاحظ أن اجتناب المرأة المسلمة من أسلوب التخاطب اللين على وجه يحدث في قلوب عامة الفساق الطمع فيهن، وعلى أسلوب يُفهَم منه رغبتها فيهم، كان ممنوعًا في الشريعة لجميع نساء المسلمين ونساء النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا قبل نزول هذه الآية؛ لأن الأسلوب اللين المُطمِّع من مقدمات الفواحش، والفواحش محرمة ظاهرها وباطنها للجميع بكثير من النصوص القرآنية الصريحة، ولكن نزول هذا

الحكم ههنا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، ليس المراد فيه عامة الفساق من المخاطبين، ولا الصحابة الكرام أصلًا، بل لهذا الحكم أسباب معينة في حقهن في ذلك الزمن كما فصلناه آنفًا بوضوح؛ لأنه لا يتصور أنه كان في تكلمهن شيء من الرفث أو التطميع للمخاطبين-والعياذ بالله، بل كن يكلمن المخاطبين -وفيهم منافقون أيضًا-بالخضوع والرفق بسبب كرامتهن، وحيائهن كما هي عادة الكرام وأصحاب الحياء من الناس، فكان من الممكن أن يجد المنافقون في لهجتهن المتواضعة سبيلًا لإثارة الفتنة في أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتحقق أنه لا يوجد في هذا الحكم أيضًا أي أمر شرعي عامّ في اختيار أسلوب التكلم المعين لعامة نساء المسلمين على الدوام.

• وأما حكم ذكر آيات الله والحكمة في قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، فورود فعل "ذكر" ههنا ليس بمعنى التلاوة، بل هو في الحقيقة أمر لهن خاص بتعليمها وتبليغها[1] إلى من يلقاهن من الناس في بيوتهن بدلًا من الخضوع في حديث غيرها معهم بعد نزول هذه الأحكام الخاصة بهن؛ لأن هذا هو العلم الذي اصطفاهن الله له؛ فلذا ينبغي أن يكون مقصود حياتهم الآن ترويج هذا العلم والحكمة، لا عيش الدنيا وزينتها، ولذا لا عموم في هذا الحكم أيضًا.

• تتضح هذه الخصوصية عندما نتدبر في هذه النصوص مع سياقها، ونحللها علميًّا، فليلاحظ أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أولًا أن يخيّر أزواجه الطاهرات بين البقاء معه في النكاح الأبدي والمفارقة منه قبل أن أنزل هذه الأحكام الخاصة بهن ما قد تشق عليهن، فلو قررن جميعًا -على سبيل الفرض- بمفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يُنزل الله هذه الأحكام، أو لو فارقت إحداهن، لم يلزم هذه الأحكام المنزلة عليها فحسب، وبه أيضًا تتأكد خصوصية هذه الأحكام بهن، وعدم تعميمها إلى عامة المسلمات.

---

[1] يقول الباحث: قد ورد كلمة "ذكر" بهذا المعنى من التبليغ والدعوة في عدة أماكن من القرآن الكريم، فقال الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ...﴾ [مريم:١٦]، أو قال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤١]، وقال: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ...﴾ [الأحقاف:٢١].

• لو كان المطلوب من قوله ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ تعميم الحكم شرعًا كما قال به المولاناالمودودي، فلماذا لا تدل عليه أحكام سورة النور التي اتفق أهل العلم سلفًا وخلفًا على أنها نزلت لعامة نساء المسلمين نصًّا ولا إشارةً مع أنها نزلت بعد عام من أحكام سورة الأحزاب وفق رأي المودودي؟ بل على العكس من ذلك إنها تدل على إباحة خروج المرأة من بيتها مع مراعاة بعض الآداب الشرعية؛ لأن القرآن أباح هناك للمسلمين والمسلمات جميعًا أن يدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لهم، وفيه دلالة واضحة على جواز خروج المرأة من البيت كما يدلُّ عليه قوله في السياق نفسه هناك: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾، فبهذه الشواهد من النصوص القرآنية أيضًا يتأكد ضعف الموقف الأول.

• فيجوز لعامة نساء المسلمين أن يخرجن من البيوت لحوائجهن الملحة وغير الملحة، ويمشين في الطريق، ويشهدن السوق، ولو تاجرات أو مترفات، ولو كان يقع لهن بعض الإيذاءات من الناس، لما يدل على جواز خروجهن من بيوتهن مع إمكان الأذى من الأشرار قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩]، وقد صحت روايات تشهد على أنه كانت هناك نساء من الصحابيات يعملن تاجرات في عصر الرسالة والخلفاء الراشدين[٢]. منهن قيلة أم بني أنمار التي قالت: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة يحل من عمرة، فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله، إني امرأة أشتري وأبيع ..."[٣]. ومنهن الشفاء بنت عبد الله التي ولّاها عمر بن الخطاب شيئًا من أمر السوق، وكان يقدمها في الرأي، ويرعاها، ويفضلها، أما المرأة المشترية في السوق، فمن ذلك ما حدث أبو اليسر كعب بن عمرو السلمي أن امرأة جاءت تبتاع منه تمرًا[٤].

---

[٢] انظر: الترابي، المرأة بين الأصول والتقاليد، ص٧-١٢.

[٣] الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الشامي، المعجم الكبير، (الرياض: دار الصميعي، ط١، ١٤١٥هـ)، ج٢٥، ص١٣، رقم٤. يقول الباحث: إسناده حسن في المتابعات والشواهد، رجاله ثقات وصدوقيين عدا عبد الله بن عثمان القاري، وهو مقبول.

[٤] الترمذي، السنن، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، ج٥، ص١٤٣، رقم٣١١٥.

• وأما ما قدم أصحاب الموقف الأول من الأحاديث لإثبات رأيهم، فالأول والثاني منها ضعيفان، وغير صريحان في الدلالة أيضًا، لا يحتج بهما كما حققناه في تخريجهما آنفًا، والثالث رغم أن إسناده حسن، ولكن في متنه أيضًا ملاحظات، وهو أن قوله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة عورة...» عام، والآية خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم بصراحة النص، فكيف تفسر به الآية؟ وكذلك ما استدلوا عليه بهذا الحديث، هو متعارض مع أحاديث كثيرة ثابتة تشهد على أن كرائم الصحابيات كن يخرجن من بيوتهن لأعمالهن، وحوائجهن المتنوعة في عهد الرسالة، وكان عليه العمل عندهن بدون نكير من الرسول صلى الله عليه وسلم. وبالإضافة إلى ذلك لو أخذنا بظاهر هذا الحديث ما جاز كشف شيء من بدن المرأة حتى في الصلاة، ولا في الحج والعمرة، فضلًا عن خروجها من البيت، وهو خلاف الثابت بيقين، وكذلك هو خلاف ما اتفق عليه العلماء والفقهاء، والصحيح أن الحديث لا يفيد ما أراد منه الأستاذ المودودي ههنا، بل إنما هو تحذير للمرأة من التقصير في ستر عورتها، وتحذير لها وللرجال من حولها من التفريط في مراعاة آداب اللقاء التي تصون العورة، وتدرأ الافتتان بها.

• قد فهمت -بالإضافة إلى ذلك- كرائمُ الصحابيات أن أحكام هذا السياق كلها خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا علاقة لها بعامة النساء، ويشهد عليه ما أخرجه الطبري عن قتادة، قال: "دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلن: قد ذكركن الله في القرآن، ولم نذكر بشيء، أما فينا ما يذكر؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]"[٥].

• ومما يدلُّ على أن أمر القرار في البيوت قد فهم الصحابة خصوصيته بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم أن عمر بن الخطاب كان يمنعهن خاصةً من الحج، ولم يأذن لهن إلا في آخر حجة حجها[٦].

وقال: "حسن صحيح"، وحسنه الألباني.

[٥] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الآملي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مصر: دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٩، ص٢٣٧، رقم٢٨٥٦.

[٦] انظر: البخاري، الصحيح، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، ج٣، ص١٩، رقم١٨٦٠؛

- كذلك لم تخفَ هذه الخصوصية على العلماء، فقال ابن حجر: "قوله ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فإنه أمر حقيقي خوطب به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كانت أم سلمة تقول: لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى النبي صلى الله عليه وسلم ..."[٧].
- كان لنساء النبي الإذن بالجهاد قبل نزول أحكام الحجاب الخاص بهن، ومنها الأمر بالقرار في البيوت، ويشهد عليه مشاركتهن في غزوة أحد، فعن أنس، قال: "لما كان يوم أحد، انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم وإنهما لمشمرتان، أرى خدم سوقهما تنقزان القرب، وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم"[٨]. ولكن إذا سألن الرسول صلى الله عليه وسلم للمشاركة في الجهاد فيما بعد، نهاهن عن ذلك، فعن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[٩]. وأما عامة النساء المسلمات، فخروجهن من البيوت، ومشاركتهن في القتال ثابتة في عصر الرسالة حتى بعد نزول أحكام الحجاب في سورة الاحزاب التي تخاطب نساء النبي خاصة، ومن أمثلة ذلك مشاركة بعض النساء في غزوة خيبر وحنين[١٠]، وهذا أيضًا يشهد على اقتصار أمر القرار في البيوت على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.

وابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ)، ج٤، ص٧٣-٧٥، رقم١٨٦٠، ١٨٦١.

[٧] ابن حجر، المرجع نفسه، ج٧، ص١٠٨، رقم٣٧٧٢.

[٨] البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال، ج٤، ص٣٣، رقم٢٨٨٠..

[٩] المرجع نفسه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ج٢، ص١٣٣، رقم١٥٢٠.

[١٠] انظر: المرجع نفسه، كتاب الصلاة، باب ما يذكر في الفخذ، ج١، ص٨٣، رقم٣٧١؛ ومسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د.ت)، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال،

• على الرغم من وقوع بعض الحوادث المؤسفة في عصر النبوة، لم ينهَ الرسول صلى الله عليه وسلم عامة النساء عن الخروج من بيوتهن، ولم يأمرهن بالقرار في البيت كما كان مطلوبًا من نسائه الطاهرات، فعن علقمة بن وائل الكندي، عن أبيه،" أن امرأة خرجت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد الصلاة، فتلقاها رجل فتجللها، فقضى حاجته منها، فصاحت، فانطلق، ومر عليها رجل، فقالت: إن ذاك الرجل فعل بي كذا وكذا، ومرت بعصابة من المهاجرين، فقالت: إن ذاك الرجل فعل بي كذا وكذا، فانطلقوا، فأخذوا الرجل الذي ظنت أنه وقع عليها وأتوها، فقالت: نعم هو هذا، فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ..."[١١].

• وقد ساق الدكتور حسن الترابي أخبارًا وآثارًا كثيرة وصحيحة تنص على خروج كرائم الصحابيات من بيوتهن ومشاركتهن في الحياة الاجتماعية ولقاءهن الرجال، وهي تشهد على أن الأمر بملازمة البيوت كان خاصًّا بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى أنه لم يتأثر وضع كرائم الصحابيات في هذا الباب بعد نزول هذه الأحكام في المجتمع النبوي، ولم يُقصرن في بيوتهن[١٢]. هذا وقد خرّج بعض العلماء الآخرين -منهم الدكتور حسن عبد الترابي، والشيخ عبد الحليم أبو شقة- وقائع كثيرة تشهد على خروج النساء المسلمات من بيوتهن، ومشاركتهن في الحياة الاجتماعية، ولقائهن الرجال في مجالات الحياة المتنوعة في عصر الرسالة صلى الله عليه وسلم [13].

• يترجح الموقف الثاني في ضوء قاعدة رفع الحرج وعدم العسر في دين الإسلام أيضًا كما صرحت به نصوص القرآن والحديث، فقال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ

ج٣، ص١٤٤٢، رقم١٨٠٩.

[١١] الترمذي، السنن، أبواب الحدود، باب ما جاء في المرأة إذا استكرهت على الزنا، ج٤، ص٥٦، رقم١٤٥٤، وحسنه الألباني.

[١٢] انظر: الترابي، المرأة بين الأصول والتقاليد، ص٧-١٢.

[13] انظر: الترابي، المرأة بين الأصول والتقاليد؛ وأبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج٢، ص١٧١-٤٣٨.

الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نيسر ولا نعسر، ونبشر ولا ننفر[١٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إني أرسلت بحنيفية سمحة»[١٥]، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا ...»[١٦].

الخاتمة

قد ثبت من هذه المناقشة للأدلة أن الراجح والصواب هو موقف أصحاب العلم القائلين بعدم جواز تعميم حكم ملازمة البيوت إلى عامة نساء المسلمين لصحة أدلته وقوتها؛ ولأن الأدلة للقائلين بتعميم هذا الحكم إلى عامة النساء المسلمات ضعيفة، وغير صريحة الدلالة، وكذلك هي ليست سالمة من المعارضة، تردها دلالات النصوص القرآنية الواضحات، ووقائع ثابتة من عصر الرسالة، ومن المتفق عليه عند العلماء أنه لا تكليف، ولا تحريم إلا بنص صريح ثابت، وتبين منه بجلاء أن ما استنبط الأستاذ المودودي من النص القرآني على عدم جواز خروج المرأة المسلمة من بيتها، وعملها خارج البيت، وسفرها للدراسة استنباط غير صحيح لا يثبت من النص القرآني، ولا الأحاديث النبوية، ولا مما جرى عليه العمل لدى كرائم الصحابيات في عصر النبوة. بل تحقق أن حكم ملازمة البيوت لا يتعلق بعامة نساء المسلمين، بل كما كن يخرجن ويذهبن إلى ما شئن حسب أحوالهن وحوائجهن قديمًا، كذلك لهن أن يفعلنه في هذا العصر، ولكن لا يجوز لهن أن يتبرجن بزينتهن، ويبدينها إلى الأجانب كما نهاهن الله في سياق أحكامهن خاصةً في سورة النور، يعني عليهن عند الخروج أن يمتثلن كل الأحكام المتعلقة بالنظر، واللباس، والزينة، والاختلاط التي جاءت لهن على العموم في سورة النور

---

[١٤] انظر: البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفرو، ج١، ص٢٥، رقم٦٩.

[١٥] أحمد، المسند، ج٤١، ص٣٤٩، رقم٢٤٨٥٥. وقال محققوه: "حديث قوي، وهذا سند حسن، عبد الرحمن ابن أبي الزناد حسن الحديث. وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. سليمان بن داود: هو الطيالسي".

[١٦] البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، ج١، ص١٦، رقم٣٩.

فحسب.

المصادروالمراجع

Abu Shuqqah ʿAbd al-Ḥalīm. (1416h/1995AD). *Taḥrīr al-Mar'ah fī ʿAṣr al-Risālah*. 4th ed. Al-Kuwait: Dār al-Qalam li al-Nashr wa al-Tawzīʿ.

Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal Abū ʿAbd Allah al-Shaybānī. (1421h/2001AD). *Al-Musnad*. 1st ed. (Shuʿayb al-Arnaūṭ et.al. Ed.). Bayrūt: Mu'assasah al-Risālah.

Al-'Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn. (1412h/1992AD). *Silsilat al-Ḥādīth al-Ḍaʿīfah wa al-Mawḍūʿah wa Atharuhā al-Sayyi' fī al-Ummah*. 1st ed. Al-Riyāḍ: Dār al-Maʿārif.

Al- Ālūsī, Shihāb al-Dīn Maḥmūd ibn ʿAbd Allah al-Ḥusaynī. (1415h). *Rūḥ al-Maʿānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-ʿAḍīm wa al-Sabaʿ al-Mathānī*. 1st ed. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Al-Bukhārī, Abū ʿAbd Allah Muḥammad ibn Ismāʿil al-Juʿfī. (1422h). *al-Jāmīʿ al-Ṣaḥīḥ*. 1st ed. Bayrūt: Dār Ṭawq al-Najāt.

Al-Bzzār, Abūbakr Aḥmad ibn ʿAmr al-ʿAtkī. (1988AD/2009AD). *Al-Musnad.* 1st ed. Al-Madīnah al-Munawwarah: Maktabat al-ʿUlūm wa al-Ḥikam.

Al-Jaṣṣāṣ, Aḥmad ibn Abū Bakr al-Rāzi al-Ḥanafī. (1415h/1994AD). *Aḥkām al-Qur'ān.* 1st ed. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyah.

Al-Mawdūdī, al-Sayid Abū al-Aʿlā. (1985AD). *Tafhīm al-Qur'ān*. 5th ed. Lahore: Idārah Tarjumān al-Qur'ān.

Al-Qurṭubī, Abū ʿAbdullāh Muḥammad ibn Aḥmad. (1384h/1964AD). *Al-Jāmiʿ li Aḥkām al-Qur'ān.* 2nd ed. Al-Qāhirah: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah.

Al-Tabarānī, Abū Al-Qāsim, Sulaymān ibn Aḥmad Al-Shāmī. (1415h). *Al-Mʿujam al Kabīr*. 1st ed. Al-Riyāḍ: Dār al-Sumaiʿei.

Al-Ṭabrī, Abū Jaʿfar Muḥammad ibn Jarīr al-Āmilī. (1420h/2000AD). *Jāmiʿ al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān*. 1st ed. Bayrūt: Mu'assasah al-Risālah.

Al-Tayālasī, Abū Dāwūd, Sulaymān ibn Dāwūd Al-Basrī. (1419h). *Al-Musnad.*

1st ed. Egypt: Dār Hajar.

Al-Tirmidhī, Abū ʿIsā Muḥammad ibn ʿIsā. (1395h/1975AD). *Al-Sunan*. 2nd ed. Miṣr: Sharikat Maktabah wa Maṭbaʿ Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī.

Al-Turābī, Ḥasan ʿAbd Allah. (1421h/2000AD). *Al-Mar'ah Bayn al'Uṣūli wa al-Taqālīd.* (n.d.). Al-Khurṭūm: Markaz Dirāsāt al-Mar'ah.

Ghāmidī, Jāwaid Aḥmad. (2016AD). *Al- Bayān fī Tafsīr al-Qur'ān.* 1st ed. Lahore: Al-Mawrid - Maʿhad al-ʿIlm al-Islāmī wa al-Bahth fīh.

Ghāmidī, Jāwaid Aḥmad. (2016AD). *Mizān fī bayān al-Islām*. 6th ed. Lahore: Al-Mawrid - Maʿhad al-ʿIlm al-Islāmī wa al-Bahth fīh.

Ibn Ḥajar, Ahmad bin ʿAlī al-ʿAsqalānī. (1379h). *Fat al- Bārī Sharh Sahīh al-Bukhārī*. (n.d.). Bayrūt: Dār al Mʿrifah.

Ibn Ḥajar, Ahmad bin ʿAlī al-ʿAsqalānī. (1406h/1986AD). *Taqrīb al-Tahdhīb*. 1st ed. Sūriya: Dār al-Rashīd.

Muḥammad ʿImārah. (1414h/1993AD). *al-Aʿmāl al-Kāmilah li al-Imām al-Shaykh Muḥammad ʿAbduh.* 1st ed. al-Qāhirah: Dār al-Shurūq.

Muḥammad Rashīd Riḍā. (1404h/1984AD). *Ḥuqūq al-Nisā fī al-Islām wa Ḥaẓuhunna min al-Iṣlāḥ al-Muḥammadī al-ʿĀm.* (n.d.). Bayrūt: al-Maktab al-Islāmī.

Muslim ibn al-Ḥajāj Abū al-Ḥasan al-Qushyrī al-Nīshābūrī. (n.d.). *Al-Jāmiʿ al-Ṣaḥīḥ*. Bayrūt: Dār Iḥyā al-Turāth al-ʿArabi.

بقلم: الأستاذ محمد حسن إلياس
نقله إلى العربية: أ. عثمان فاروق

نحو تصحيح المفهوم الفقهي لقاعدة "الخراج بالضمان"

وقع نزاع بين رجلين في صفقة بيع وشراء، فاحتكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقضي بينهما.

روت السيدة عائشة رضي الله عنها:

"أنّ رجلًا اشترى غلامًا، فأقام عنده ما شاء الله أن يقيم، ثم وجد به عيبًا، فخاصمه إلى النبي ﷺ، فردّه عليه، فقال الرجل: يا رسول الله، قد استغللت غلامي، فقال رسول الله ﷺ: الخراج بالضمان." (رواه أبو داود، رقم:٣٥١٠)

يدلّ لفظ الضمان في اللغة العربية على تحمّل المسؤولية، وقد عبّر اللغويون عنه بعبارتي 'الكفالة والالتزام'* أي التعهّد بكفالة الشيء والقيام بشؤونه. وانطلاقاً من هذا المعنى، فإن المقصود بحديث النبي صلى الله عليه وسلم 'الخراج بالضمان' أن المشتري ما دام العبد في ملكه، كان ملتزماً بنفقته ورعايته وحمايته، فكان من مقتضى العدل أن يعود إليه ما نتج من منفعة خلال تلك المدة، لأن الربح في حقيقته ثمرة طبيعية للمسؤولية التي تحمّلها تجاهه.

هذه الرواية كانت في أصلها حكماً قضائياً في واقعة معينة، غير أن الفقهاء الكرام المتأخرين جعلوا منها قاعدة كلية وفقاً لمنهجهم في الاستدلال. فقد فهموا

* أقرب الموارد، صـ ٦٩٠

أن المقصود من لفظ الضمان في الحديث هو تحمّل الخسارة أو الضرر، واستناداً إلى هذا الفهم قرروا قاعدة مفادها أن الربح لا يستحقه إلا من يتحمّل تبعة الخسارة. وعلى هذا الأساس، قرر فقهاء العظام كالإمام السرخسي والإمام الكاساني (عليهما الرحمة) أن أي معاملة مالية لا يقبل فيها تحمّل مسؤولية الخسارة إنما تكون في حقيقتها ربحاً على رأس المال دون مقابل، وهي عندهم من قبيل الربا.

في نظرنا، هذا الشرح يحتاج إلى إعادة نظر من جانبين:

أولاً: لأن الفقهاء قصروا معنى الضمان على تحمّل الخسارة المالية فقط، في حين أن الكلمة في أصلها اللغوي تعني ببساطة تحمّل المسؤولية. والخسارة ليست سوى أحد مظاهر هذه المسؤولية، أما جعلها المعنى الوحيد للفظ فهو نوع من الخلط بين الأصل والفرع، إذ يختزل المفهوم الواسع للضمان في أحد تطبيقاته الجزئية. والحقيقة أن معنى الضمان يتغيّر تبعاً لطبيعة كل عقد، ففي القرض يكون التزاماً بالسداد، وفي الأمانة يعني الحفظ والرعاية، وفي البيع يشمل الالتزامات التي يقرّها الطرفان، بينما في الحديث محلّ الدراسة ارتبط الضمان برعاية المبيع وكفالته. وعليه، فكل معاملة تحدد مسؤولياتها الخاصة بحسب طبيعتها وشروطها، ولا يمكن اختزال جميع صور الضمان في مفهوم واحد مرتبط بالخسارة فقط.

لذلك، فإن اتخاذ صورة محددة من صور الضمان في عقد واحد وجعلها معياراً يقاس عليه سائر العقود، ثم اعتبار الربح مشروطاً دائماً بالخسارة، لا ينسجم لا مع دلالة اللغة ولا مع سياق الرواية نفسها.

ثانياً: إنّ الفقهاء الكرام وسّعوا تطبيق قاعدة "الخراج بالضمان" لتشمل عقد المضاربة أيضاً، واستناداً إلى ذلك قرروا أن ربّ المال هو الذي يتحمّل الضمان، أي مسؤولية الخسارة.

وبناءً على تصورهم أن الربح لا يستحق إلا مع الضمان، اعتبروا أن استحقاق الربح في المضاربة يجب أن يكون من نصيب ربّ المال. غير أنّ الواقع أن المضاربة تقوم على توزيع المسؤوليات بين الطرفين بحسب طبيعة العقد؛ فمسؤولية ربّ المال تتمثل في تقديم رأس المال، بينما تتركز مسؤولية العامل في حفظ رأس المال، وصيانته من الخسارة، واستثماره في وجوه التجارة المشروعة. وبذلك يتبيّن أن كلا الطرفين في عقد المضاربة يتحمّل نوعاً خاصاً من المسؤولية، ولا ينفرد أحدهما

بها دون الآخر. وحيث إن العامل هو الذي يتحمّل مسؤولية إدارة المال واستثماره، فإنه إذا حدثت خسارة كانت تبعتها عليه. ومن ثمّ فإن الربح في حقيقته نتيجة طبيعية لتكامل مسؤوليتين:

مسؤولية ربّ المال الذي قدّم رأس المال، ومسؤولية العامل الذي تعهّد بحفظه وتشغيله.

وعليه، فإن ربط استحقاق الربح بمبدأ تحمّل الخسارة وحده ليس تفسيراً دقيقاً، إذ إن الربح لا ينشأ عن الخسارة، بل عن تلاقي مسؤوليات الطرفين وتعاونهما في تحقيق المنفعة.

يتّضح من هذا أن شرح قاعدة "الخراج بالضمان" على أنها تعني مجرد تحمّل الخسارة هو فهم قاصر؛ إذ لا يتفق مع أصل معناها اللغوي، ولا ينسجم مع سياق الحديث النبوي، كما أنه لا يراعي تنوع العقود واختلاف طبيعة المسؤوليات فيها.

الإعداد: الأستاذ عثمان فاروق

آداب حملة القرآن

(الحلقة الثانية والأخيرة)

٥- كثرة التلاوة والمراجعة

من آداب حملة القرآن المواظبة على تلاوته ومراجعته باستمرار، حتى لا ينساه ولا يغيب عن قلبه. فالقرآن سريع التفلت ما لم يتعاهد، كما قال النبي ﷺ:

"تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصّيًا من الإبل في عقلها".

(رواه البخاري، رقم: ٥٠٣٣)

فالمداومة على التلاوة والمراجعة تحفظ من الغفلة، وتزيده قربًا من الله، وتبقي نور القرآن متجددًا في صدره ولسانه.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في آداب التلاوة:

أولاً: التعظيم للمتكلم: ينبغي للقارئ عند بدء التلاوة أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر.

ثانياً: حضور القلب: وترك حديث النفس أثناء القراءة، فقد كان بعض السلف إذا قرأ آية ولم يحضر قلبه فيها أعادها ثانية.

ثالثاً: التدبّر: الغرض من القراءة هو التدبر، وإن لم يتمكن القارئ من التدبر إلا بالترديد فليردد.

رابعاً: التخلّي عن موانع الفهم: كثير من الناس يمنعهم الشيطان عن فهم معاني القرآن، بسبب الذنوب، الكبر، أو تعلق القلب بهوى الدنيا، فهذه أسباب ظلمة القلب وصدئه وهي أعظم الحجب.

خامساً: تقدير أنّ القرآن موجّه إليه: عند سماع أمر أو نهي، فليقدر القارئ أنه المنهي أو المأمور، وعند سماع وعد أو وعيد، فليعتبره موجهًا له كذلك.

سادساً: تأثّر القلب: أن يتأثر قلبه، وقد قال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره. (مستفاد من كتابه "إحياء علوم الدين")

٦- تعليم القرآن ونشره

إن من أجلّ القربات وأعظم الطاعات نشر العلم وتعليمه، ولا علم أشرف ولا أنفع من تعليم كتاب الله تعالى. فحامل القرآن لا يكتفي بحفظه وتلاوته والعمل به، بل يسعى إلى تبليغه وتعليمه للناس، اقتداءً بقول النبي ﷺ:

"خيركم من تعلم القرآن وعلمه". (رواه البخاري، رقم: ٥٠٢٧)

٧- الزهد في الدنيا

من آداب حملة القرآن الزهد في الدنيا، وألا يكون حامل القرآن متكالبًا على متاعها الزائل أو حريصًا على زخارفها الفانية، بل يكون قلبه معلّقًا بالآخرة، راضيًا بما قسم الله له، عامرًا بالرضا والقناعة.

٨- الصبر والاحتساب زاد حامل القرآن

من آداب حملة القرآن الصبر على ما يلقونه في سبيل الله من مشاقّ وأذى، فإن طريق الدعوة إلى الله وتعليم القرآن ليس مفروشًا بالورود، بل يحتاج إلى جلد وثبات واحتساب للأجر. وقد صبر الأنبياء والمصلحون من قبل على ما أصابهم في سبيل تبليغ الحق، فحريّ بحامل القرآن أن يقتدي بهم، محتسبًا ما يلقاه عند الله تعالى، واثقًا بأنّ العاقبة للمتقين.

٩- التزام الدعاء

من آداب حملة القرآن التزام الدعاء؛ فهو زاد القلب وروح العبادة، وبه يستمدّ حامل القرآن توفيقه وثباته على طريق القرآن. كذلك ينبغي لحامل القرآن أن يلازم الدعاء في كل أحواله، يسأل الله الإخلاص، والفهم، والعمل بما حفظ، وأن يجعله من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

١٠- بين الفهم والتأثير: توازن حامل القرآن في تلقي كتاب الله

ومع ما نؤكّد عليه دائمًا من ضرورة فهم القرآن وتدبّره، فإنّ جانب التأثير

والتأثّر لا يقلّ شأنًا، بل هو روح العلاقة مع كتاب الله، إذ لا يكتمل التدبّر إلاّ إذا أثمر خشوعًا في القلب وخضوعًا في الجوارح. فالقرآن لم ينزّل ليتلى بالألسنة فحسب، بل ليهزّ القلوب ويصوغ النفوس. قال تعالى:

﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ﴾ (الزمر: ٢٣)

وفي هذا المشهد الربّاني تتجلّى صورة التفاعل الحيّ مع القرآن، حيث ترتعد الجلود خشية وتلين القلوب رحمةً وإيمانًا. وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: ٢)

فليس المقصود من التلاوة مجرّد العلم، بل أن يورث العلم خشية. بل إنّ الله جلّ جلاله يضرب المثل بعظم أثر القرآن في قوله:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ (الحشر: ٢١)

فما أحوجنا إلى أن نحقّق هذا التوازن بين فهم القرآن بعقولنا وتأثّره في قلوبنا، ليكون القرآن علماً ونوراً، عقلاً وهدايةً، فهماً وتأثيراً معًا.

وفي الختام، نذكر أن آداب حملة القرآن ليست مجرد توجيهات نظرية، بل هي منهج حياة يجب أن يطبقه كل من اصطفاه الله لحمل كتابه العزيز، ليكون قلبه متأثراً بكلماته، ولسانه صادقاً بما يحمل، وسلوكه مطابقاً لتعاليمه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لفهم كتابه والعمل به، وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يجعلنا من حملة القرآن وأهله وخاصته، الذين تتراءى عليهم آياته في القول والفعل، ويحيون به قلوبهم ويهتدون به سلوكهم، وأن يكون القرآن شفيعاً لنا يوم القيامة. آمين.

ياسر عبد العزيز

العالم المصري الراحل الدكتور زغلول النجار

لقد كان نبي الله نوح عليه السلام نجارا، ولعل الله دفعه لتعلم هذه المهنة لتكون وسيلة لخدمة الدين والدعوة التي اختاره لحملها. فقد أمره فيما أمر بأن يصنع سفينة، فاستجاب نوح، عليه السلام لأمر الله، وبدأ في صنع السفينة مستخدما مهارته في النجارة، رغم سخرية قومه منه واستغرابهم الهدف والمكان، إذ كان يصنع السفينة في قلب الصحراء!

غير أن تلك السفينة كانت وسيلة نجاته ونجاة المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا بما جاء به من وحي، فبتصديقهم وإخلاصهم للفكرة، وتمسكهم بما يفعل "النجار" نوح، نجَوا وهلك الكافرون.

ولعل أوجه الشبه التي كتبها الله للدكتور زغلول النجار -من إيمانه بفكرة الإعجاز العلمي وتعمقه فيها رغم تخصصه في علوم الأرض والجيولوجيا- قدرٌ أراده الله له كي يسير على خطى النبي نوح.

فكلاهما كان "نجارا"، وكلاهما عمل في خدمة الدعوة، وكلاهما صنع سفينته في الصحراء: فالنبي نوح صنعها في صحراء مادية، والدكتور زغلول صنع سفينته في صحراء المادية التجريبية؛ تلك المادية التي لا تصدق إلا بالملموس وتنكر ما عداه ولو كان محسوسا.

ولعل الجدل الذي صاحب دعوة النبي نوح من غير المؤمنين يشابه ما لقيه الدكتور زغلول النجار في دعوته عبر البحث في الإعجاز العلمي. وإن لم يكن هو الرائد الوحيد في هذا الحقل، إلا أنه مهندسه وصانع سفينته التي أبحرت على

مدى خمسين عاما.

تعود جذور فكرة الإعجاز العلمي إلى صدر الإسلام، حيث حاجج النبي، صلى الله عليه وسلم، مناهضيه به، تأكيدا لنبوته، واستمر الأمر في العصور الإسلامية الأولى حين كان العلماء المسلمون يستدلون بآيات القرآن على عظمة الخلق والنظام الكوني.

أما المفهوم المنهجي الحديث للإعجاز العلمي، فقد بدأ في القرن العشرين، حين ازداد اهتمام العلماء والمفكرين بربط النصوص القرآنية بالاكتشافات العلمية الحديثة، لا سيما بعد أن تفوق الغرب في علومه ونسوا أن أساس تلك العلوم ومنطلقاتها كانت جهود علماء المسلمين.

فذهب بعض علماء المسلمين إلى ما هو أبعد من إثبات أصول العلم لأجدادهم، إلى تأصيله وتفسيره وفق المنهج الإلهي "اقرأ" سبحانه.

حقق الإعجاز العلمي في القرآن إنجازات كبيرة، أبرزها تعزيز الإيمان بعظمة القرآن وتقريب الناس إلى دينهم بعد أن فتنهم الغرب بماديته

ومن أبرز رواد هذا الاتجاه في العصر الحديث: الشيخ عبدالمجيد الزنداني، والشيخ طنطاوي جوهري، والدكتور زغلول النجار والشيخ وحيد الدين خان من الهند رحمهم الله جميعا.

قدم هؤلاء دراسات تُظهر أن القرآن الكريم تضمن إشارات علمية دقيقة في مجالات الفلك والطب والأحياء والجيولوجيا وغيرها، مؤكدين أن القرآن كتاب هداية لا يمكن أن يتعارض مع حقائق الكون التي خلقها الله، بل سبقها بالإشارة إليها منذ قرون.

لقد حقق الإعجاز العلمي في القرآن إنجازات فكرية ودعوية كبيرة، أبرزها تعزيز الإيمان بعظمة القرآن، وتقريب الناس إلى دينهم بعد أن فتنهم الغرب بماديته.

حتى إن أحدهم قال لي -وكان في بعثة طويلة إلى أميركا-: "الضعفاء فقط هم من يحتاجون إلى إله، أما الأقوياء فلديهم من العلم ما يقيمون به حاجاتهم."

كان النجار يفصل الجانب العلمي عن العاطفي، ويبتعد عن توظيف النتائج لأغراض دعوية أو إعلامية مبالغ فيها، متمسكا بمنهجية البحث العلمي في هذا

الميدان.

لكن النجار صنع من الألواح المسطورة في كتاب الله قواربَ نجاةٍ للراغبين في الخروج من دوامات العلمانية المفرطة والعلمية المتغطرسة التي لا تتوقف ولا تتبين، وتظن في نفسها قوة الإله، ولا تتواضع لقوله تعالى: {وفوق كل ذي علم عليم}.

ومع ذلك، وجد في المجتمعات التي تُقدس المنهج العلمي التجريبي عقلاءَ أنصفوا دعوته، لا سيما حين حملها إلى المؤتمرات العلمية العالمية، فحاجج العلماء بالحجة والمنطق، فعاد كثير منهم إلى الحق مؤمنين بما جاء به محمد، صلى الله عليه وسلم.

فكان للدكتور زغلول النجار وأقرانه فضلٌ في هداية العلماء وتثبيت المؤمنين على عقيدتهم.

ومع عظمة هذا الجهد، لم تخلُ مسيرته من الانتقادات، منها الخلط بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي. إذ يرى بعض العلماء أن محاولة تطويع النصوص القرآنية لتوافق النظريات العلمية المؤقتة قد تؤدي إلى تقييد النص بمعنى زائل إذا تغير العلم لاحقا.

وهو رأي معتبر إن كان الغرض منه حماية النصوص من التأويل الزائل، فالنظريات متغيرة، والدين خالد سرمدي نزل ليبقى وشرع ليدوم.

وهذا ما كان الدكتور زغلول النجار يحاول ترشيده، إذ مثل المكابح لراكبي موجة الإعجاز العلمي، فكان يفصل العلمي عن العاطفي، ويبتعد عن توظيف النتائج لأغراض دعوية أو إعلامية مبالغ فيها، متمسكا بمنهجية البحث العلمي في هذا الميدان.

لم يكن خطاب الدكتور النجار خطابا نخبويا؛ بل كان يبسط أعقد المسائل، فيخلع ثوب العالم، ويرتدي ثوب البسطاء، فيهبط بالمعاني من قممها الشاهقة إلى أرض الفهم الممهدة

وقد ألف عددا من الكتب لترسيخ الفكرة وترشيد المنهج، من أبرزها:

١- الإنسان والكون في الإسلام

٢- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

٣- الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة

٤- الجزيرة العربية عبر الأزمنة الجيولوجية

٥- نظرية التطور العضوي في ميزان الإسلام

وغيرها من المؤلفات التي حافظت على منهجية علم الإعجاز العلمي بعيدا عن العاطفة الدعوية، موجهة الخطاب إلى عقل العالم المدرك للظواهر.

وقد أنضج ذلك الخطاب الدعوي العلمي الموجه إلى طبقة لا يمكن مخاطبتها إلا بمنطق العلم والإقناع.

ومع ذلك، لم يكن خطاب الدكتور النجار خطابا نخبويا؛ بل كان يبسط أعقد المسائل، فيخلع ثوب العالم، ويرتدي ثوب البسطاء، فيهبط بالمعاني من قممها الشاهقة إلى أرض الفهم الممهدة، فيجعل كلام العلماء على لسانه ميسورا، كأنه حديث أخلاء في جلسة سمر على ضوء قمر في ليل ريفي بسيط.

رحم الله الدكتور زغلول النجار، وتقبل عمله وجهاده وهجرته من أجل الحق والدعوة، ونسأل الله أن يعوض الأمة من تلاميذه من يكمل مسيرته لرفع راية هذا الدين.

(نقلا من قناة "الجزيرة")

بقلم: نعيم أحمد بلوش

نقله إلى العربية: أ. عثمان فاروق

حياة أمين

سيرة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر القرآن"، هذه صفحات
من سيرته بقلم كاتبها نعيم أحمد بلوش]

(الحلقة العاشرة)

ألّف الإمام حميد الدين الفراهي، وفقًا لنظامه الفكري المتميز، عددًا من الكتب الرائدة التي أسهمت في بناء مشروعه العلمي والفكري. غير أن هناك كتبًا عديدة لم تكتمل بعد، إذ وافته المنية وهي لا تزال في طور الإعداد والتدوين. كانت هذه المؤلفات في شكل ملاحظات ومسودات محفوظة بعناية داخل صندوق في غرفته الخاصة.

وفي ليلة من الليالي، تعرض ذلك الصندوق للسرقة من مبنى المدرسة. ويذكر الدكتور شرف الدين الإصلاحي أن تلك الليلة لم يكن فيها الشيخ أمين الإصلاحي ولا الشيخ أختر أحسن الإصلاحي في المدرسة. ويبدو أن اللصوص ظنوا أن الصندوق يحتوي على أشياء ثمينة، فحملوه بعد أن لاحظوا القفل المحكم عليه وغادروا المكان. ابتعد اللصوص عن المبنى حتى وصلوا إلى أحد الحقول، وهناك حاولوا فتح الصندوق لاستخراج ما فيه من "كنز ثمين". وبعد أن كسروا القفل، فوجئوا بأن الصندوق لا يحتوي إلا على أوراق ومسوّدات. كانت هذه الأوراق تمثل للإمام

الفراهي وللمدرسة ثروة علمية لا تقدر بثمن، لكنها بدت في نظر اللصوص مجرد أوراق بلا قيمة. وكان الجو شتويًا باردًا، فأخذوا بعض الرزم وأشعلوا بها النار ليستدفئوا بحرارتها، دون أن يدركوا حجم الكارثة التي ارتكبوها. ومن الغريب أنهم لم يحرقوا جميع المسودات، بل تركوا الصندوق في مكانه وفروا تاركين وراءهم إرثًا كاد أن يفقد إلى الأبد.

حين أشرقت الشمس، لمح أحد المارة "الصندوق الغامض" ملقى في أحد الحقول. وفي تلك الأثناء، ساد الاضطراب في أرجاء المدرسة بعد انتشار خبر سرقة صندوق الأستاذ الإمام. وما إن وصلت أنباء العثور على الصندوق حتى أسرع الطلاب إلى المكان، ليواجهوا مشهدًا مؤلما: أوراق مبعثرة، مسودات محترقة وممزقة، وصندوق مكسور. كان المنظر صادمًا جعل القلوب ترتجف أسى وحزنًا. بدأ الجميع فورًا بجمع ما تبقى من هذا الكنز العلمي الثمين، فجمعوا الأوراق والقطع المتناثرة بكل حرص وأعادوها إلى المدرسة ليتحققوا مما ضاع ومما نجا. وكان الشيخ أختر الإصلاحي قد وصل في الحال بعد سماعه بالحادثة. وبعد فحص المسودات بدقة، ظهرت مفاجأة مفرحة للجميع؛ فقد تبين أن أغلب المسودات الأصلية سلمت من الحريق، وأن ما تلف منها كان قليلًا جدًا لا يذكر. بدت في ذلك الحادث عناية إلهية خاصة، إذ حفظ معظم تراث الإمام الفراهي من الضياع.

ومع ذلك، أشار الدكتور شرف الدين الإصلاحي إلى جانب آخر من القصة فقال:

> "يقال إن المسودات لم تتعرض لأي ضرر، غير أن هذا القول لا يمكن التأكد منه إلا لمن كان مطلعًا على كل ورقة فيها. فاللصوص لم يكونوا على درجة من الثقافة تجعلهم يميزون بين الأوراق العادية والمخطوطات القيمة، فربما أحرقوا بعض ما لا يعوض دون أن يدركوا قيمته." (ذكر فراهي، صـ ٥١٤)

رأي الدكتور شرف الدين الإصلاحي رحمه الله في هذه الحادثة يبدو غير دقيق تمامًا، لأنه هو نفسه يذكر أن الشيخ أختر أحسن الإصلاحي عندما سمع بخبر السرقة، ذهب فورًا إلى المدرسة وتولى بنفسه متابعة الأمر، إذ كان بيته قريبًا منها. ومن الطبيعي أن يكون هو الشخص الذي عرف بالضبط مقدار ما ضاع ومقدار ما بقي من المسودات. كما أن الكتب التي نشرت للإمام الفراهي بعد ذلك لم يذكر

عن أي منها أنها ناقصة بسبب احتراق بعض أوراقها، ولم ترد أي رواية تشير إلى أن الإمام كتب في موضوع معين ثم فقد بسبب الحريق. لذلك من المنطقي أن نصدق الرواية التي تقول إن الخسارة كانت قليلة جدًا، وأن الله تعالى بلطفه حفظ معظم تراث الإمام الفراهي من التلف والضياع.

تأسيس "دائرة حميدية"

من الطبيعي أن تكون هناك منذ البداية في مدرسة الإصلاح رغبة جادة في إيصال اكتشافات الإمام الفراهي العلمية إلى العلماء وطلاب العلم. ولهذا الغرض، تم تأسيس دائرة حميدية سنة ١٩٣٥م، بوصفها مؤسسة فرعية تابعة لمدرسة الإصلاح، برئاسة الدكتور حفيظ الله (وقد سبق تقديم ترجمته بالتفصيل)، وتولى عبد الغني، وهو موظف رفيع في الحكومة.

وقد حددت للدائرة ثلاثة أهداف رئيسية:

١. إصدار مجلة شهرية باسم "الإصلاح"، تنشر فيها مؤلفات الإمام الفراهي ومقالات علمية أخرى.

٢. ترجمة كتب الإمام الفراهي إلى اللغة الأردية.

٣. الإشراف المنتظم على طباعة ونشر مؤلفاته.

واتّفق كذلك على أن يتولى الشيخ أمين أحسن الإصلاحي الإشراف العام على هذه المهام، فيكون هو مدير مجلة "الإصلاح"، والمسؤول عن اختيار فريق العمل لتحقيق بقية الأهداف.

وفي يناير سنة ١٩٣٦م صدر العدد الأول من مجلة "الإصلاح" بإدارة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي، وقد تألف من ٦٤ صفحة. كتب اسم المجلة بخط النسخ في أعلى الغلاف، وتحتها بخط النستعليق التالي:

"المجلة الشهرية العلمية والدينية لدائرة حميدية"

وفي أسفل الصفحة كتبت كلمة "مرتبة" بدلًا من "مدير" وتحتها الإسم: "أمين أحسن الإصلاحي". ولم تكتب في الصفحة الأولى أي عبارات أخرى. ويجدر بالذكر أن الشيخ أمين أحسن الإصلاحي لم يضف في حياته لقب "مولانا" إلى اسمه في أي من مؤلفاته أو كتاباته، بل كان يكتب اسمه ببساطة: "أمين أحسن الإصلاحي". ولم يكن ذلك رفضًا منه للقب "مولانا"، وإنما كان يرى أن الإنسان

لا ينبغي أن يضيف بنفسه إلى إسمه أي لقب أو وصف تكريمي. ومع ذلك، عندما كان تلامذته ومحبوه يخاطبونه بلقب "مولانا" في كلامهم أو كتاباتهم، لم يكن يعترض على ذلك، بل كان يتقبل الأمر برحابة صدر. فقد كنا نحن، طلابه، نخاطبه بهذا اللقب احترامًا وتقديرًا، وهو لم يبد أي استياء من ذلك.

استمر صدور المجلة الشهرية "الإصلاح" لأربعة أعوام متواصلة، وفي الوقت نفسه استمر ترجمة كتب الإمام الفراهي والعناية بنشرها. وبالإضافة إلى ذلك، بدأ الاهتمام بنشر ما كتبه الإمام الفراهي باللغة الأردية، سواء كان مكتوبًا أصلاً أم محفوظًا في صورة مخطوطات، فأصبحت مؤلفاته متاحة للقراء بشكل أوسع. إلى جانب أعمال الإمام الفراهي العلمية، كانت مجلة "الإصلاح" تنشر أيضًا مقالات الشيخ أمين الإصلاحي البحثية والدعوية والنقدية، والتي تمثل أولى كتاباته العلمية. وسيتم توضيح تفاصيل هذه الكتابات لاحقًا.

كما نشرت المجلة مقالات لأساتذة مدرسة الإصلاح، ولعلماء ومفكرين من خارج المؤسسة، بشرط أن تتوافق هذه المقالات مع المعايير العلمية العالية للمجلة. ومن أكثر ما كان يلفت الانتباه ويهم القراء، مقالات "الشاب الإصلاحي" التي كان يكتبها الشيخ أمين الإصلاحي بنفسه كمدير للمجلة، حيث كانت تحتوي على تعليقات مختصرة وحيوية حول الأحداث الوطنية والقضايا العامة، مع تحليل موضوعي للوقائع والقضايا الاجتماعية والسياسية.

(يتبع ...)

الشعر والقريض

الشاعر: العلّامة الدكتور محمد إقبال

نظمها بالعربية شعرًا: الشيخ صاوي علي شعلان المصري (١٩٠٢–١٩٨٢م)

الشكوى وجواب الشكوى

(حديث الروح)

(الحلقة السادسة)

عاشُوا بِثَرْوَتِنا وَعِشْنا دُونَهُمْ ... لِلْمَوْتِ بَيْنَ الذُّلِّ وَالإِمْلاقِ

اَلدِّينُ يَحْيا في سَعادَةِ أَهْلِهِ ... وَالكَأْسُ لا تَبْقى بِغَيْرِ السَّاقِي

أَيْنَ الَّذِينَ بِنارِ حُبِّكَ أَرْسَلُوا الـ ... أَنْوارَ بَيْنَ مَحافِلِ العُشّاقِ

سَكَبُوا اللَّيالي في أَنينِ دُمُوعِهِمْ ... وَتَوَضَّؤُوا بِمَدامِعِ الأَشْواقِ

وَالشَّمْسُ كانَتْ مِنْ ضِياءِ وُجُوهِهِمْ ... تُهْدِي الصَّباحَ طَلائِعَ الإِشْراقِ

*****

كَيْفَ انْطَوَتْ أَيّامُهُمْ وَهُمُ الأُلَى ... نَشَرُوا الهُدَى وَعَلَوْا مَكانَ الفَرْقَدِ

هَجَرُوا الدِّيارَ فَأَيْنَ أَزْمَعَ رَكْبُهُمْ ... مَنْ يَهْتَدِي لِلْقَوْمِ أَوْ مَنْ يَقْتَدِي

يا قَلْبُ حَسْبُكَ لَمْ تُلِمَّ بِطَيْفِهِمْ ... إِلّا عَلى مِصْباحِ وَجْهِ مُحَمَّدِ

فازُوا مِنَ الدُّنْيا بِمَجْدٍ خالِدٍ ... وَلَهُمْ خُلُودُ الفَوْزِ يَوْمَ المَوْعِدِ

(يتبع...)

الشاعر: الدكتور صلاح عدس

أهل الكهف

أكفان الصمت معلقة فوق الجدران
والظلمة سدت باب الكهف
لا أحد سيعرف
هل مرت سنة أم ألف
فالزمن توقف
أحياء لكن مدفونون
وإذا بالزلزال يهز جدار الكهف
إعصار بالخارج لا يتوقف
فتحوا أعينهم
لكن لم يعرف أحد كيف يكلم صاحبه
صدئت كل الكلمات مات الحرف
وابتلع الصمت الكهف
قالوا من غير كلام
نبغي خبز الأيام
لكن لم يجرؤ أحد أن يخرج
خوفًا من " دقيانوس "
ومشانقه المنصوبة في الطرقات
ومضت لحظات
وانتشرت جثث الكلمات
ثم مضى أهل الكهف
مسبحة في الكف
وعلى الرأس عمامه

وعلى الأصدغ وشم حمامه
قصدوا السوق حيارى
غرباء محزونين
كي يبتاعوا خبزا
لكن ليس هنالك سوق
ليس هنالك خبازون
ما عرفوا حتى ضوء الشمس
لم تبصر أعينهم طرقات
لا شيء حواليهم غير الآلات
تاهوا وسط ضجيج العجلات
ماذا ... أو هذا في عصر الآلات؟
وتساءل واحدهم وهو يقلب بين يديه
دراهم ذهبية
فتفجر صوت تخنقه الضحكات
من خلف الآلات:- عجبا ما زالت صورة فرعون
على العملات الصدئه
يا لله
ماذا تبغون ؟
فدراهمكم ما عادت تصلح في هذي الأيام
نبغي خبزا
لا خبز لكم في هذا العصر
حتى يخلع كل منكم ثوبه
ويمد يديه إلى الأفق
لينزع فجره
يا أهل الكهف
أفيقوا يا أهل الكهف
(ديوان: "الطريق إلى مكة"، صـ ٢٩-٣١)

الشاعر: الأستاذ عمر محمود ضوبع

الأرجوزة السّميّة من الشمائل المحمّدية

(حُزْنُهُ وَفَرَحُهُ ﷺ):

يُطِيْلُ حُزْنَهُ مَعَ التَّفَكُّرِ ... يَجِيْشُ صَدْرُهُ بِهَمٍّ مُضْمَرِ
يُوْجِزُ قَولَهُ إذا تَكَلَّمَا ... يَغُضُّ طَرْفَهُ إذا تَبَسَّمَا
يَبكِي إذَا خَلَا عَنِ الجُلَّاسِ ... وَيُظْهِرُ السُّرُوْرَ بَينَ النَّاسِ

(غَضَبُهُ وَرِضَاهُ ﷺ):

يَغْضَبُ إنْ مُسَّتْ مَحَارِمٌ وَلَا ... يَشْفَعُ لِلأقرَبِ مِنْهُ مَنْزِلا
مُسَخِّرًا للهِ كُلَّ بَأسِهِ ... مُنْتَصِرًا لِلحَقِّ لا لِنَفْسِهِ
مُعَزِّضًا بِالقَوْلِ عِنْدَ اللَّوْمِ ... مُكَرِّمًا كَرِيْمَ كُلِّ قَوْمِ
وَلم يَكُنْ يَضْرِبُ شَيْئًا بِاليَدِ ... إلَّا بِحَرْبٍ ضَربَةَ المُجَاهِدِ

(مُجالَسَتُهُ للنَّاس ﷺ):

يُدني الجَلِيْسَ يَقبَلُ الهَدِيَّهْ ... وَنَفْسُهُ رَضِيَّةٌ هَنِيَّهْ
لَكِنَّهُ يَأنَفُ عَنْ تَصَدُّقِ ... مَعْ آلِ بَيتِهِ عَلَيْهِ يَرتَقِي
يُصْغِي إلى جَلِيْسِهِ بِمَسْمَعِ ... يُجِيْبُ دَعْوَةَ العَبِيْدِ إنْ دُعِي
يَلوِي بِصَدْرِهِ إذَا تَلَفَّتَا ... مُعَظِّمًا كَلِيْمَهُ وَمُنْصِتا
لا يَقْطَعُ الحَدِيْثَ حتَّى يَنتَهِي ... وَلَا يُشِيْحُ عَنْهُ كَالمُسَفِّهِ

(يتبع...)

الشاعر: الدكتور محمد دياب غزاوي

قُوْلِي أُحِبُّكَ مَرَّةً ثُمَّ اخْتَفِي

قُوْلِي أُحِبُّكَ مَرَّةً ثُمَّ اخْتَفِي ... قَسَمًا بِمَنْ فَطَرَ السَّمَاءَ سَأَكْتَفِي
بِاللهِ قُوْلِيْهَا وَلَا تَتَرَدَّدِي ... وَإِذَا أَرَدْتِ حُشَاشَتِي هَيَّا اقْطِفِي
وَإِذَا أَرَدْتِ الْقَلْبَ لَا تَتَأَخَّرِي ... فَالْقَلْبُ مِلْكُكِ يَا مَلِيْكَةُ فَانْصِفِي
إِنِّي اكْتَوَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ حَبِيْبَتِي ... وَالنَّفْسُ تَصْرُخُ يَا حَبِيْبَةُ فَارْأُفِي
وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ وَالْبُكَاءُ يَحُوْطُنِي ... وَالْآهُ تَهْمِي دُوْنَ أَيِّ تَوَقُّفِ
والْقَلْبُ مِنْ وَجَعٍ يَئِنُّ مِنَ الْأَسَى ... وَالصَّدْرُ يَنْزِفُ مِنْ بِعَادِكِ فَاكْفُفِي
يَا مَنْ سَكَنْتِ الرُّوْحَ، رُوْحِي قَدْ غَدَتْ ... صَرْعَى وَأَنْتِ حَبِيْبَتِي لَمْ تُسْعِفِي
أَثْخَنْتِ فِي قَتْلِي لِمَاذَا مُهْجَتِي؟! ... هَلْ ذَا جَزَاءُ الْعَاشِقِ الْمُتَشَوِّفِ؟!
كُلُّ النِّسَاءِ سِوَاكِ وَهْمٌ كَاذِبٌ ... وَالْحُسْنُ دُوْنَكِ مَحْضُ زَيْفٍ يَخْتَفِي
أَنْتِ الْجَمَالُ وَأَنْتِ حُوْرٌ مُنْيَتِي ... مَهْمَا وَصَفْتُكِ إِنَّ وَصْفِيَ لَا يَفِي
أَنْتِ الْحَيَاةُ وَأَنْتِ نِسْمَةُ قَائِظٍ ... بَلْ أَنْتَ فِي وَخْزِ الْبُرُوْدَةِ مِعْطَفِي
إِنِّي سَئِمْتُ مِنَ الْفِرَاقِ وَلَذْعِهِ ... وَالْهَجْرُ يَنْهَشُ مُهْجَتِي بَلْ مُتْلِفِي
إِنِّي أُحِبُّكِ قُلْتُهَا لَا أَنْثَنِي ... بَلْ ذُبْتُ فِيْكِ مَلِيْكَتِي, فَلْتَعْرِفِي
هَيَّا تَعَالَيْ قَدْ رَضِيْتُ بِنَظْرَةٍ ... تَشْفِي الْحَشَا لَا تَبْخَلِي وَتَعَطَّفِي
مُنِّي عَلَيَّ أَغِيْثِي بِالْوَصْلِ الْفَتَى ... أَوْ هَاتِي طَيْفَكِ بِالْمُنَى وَتَلَطَّفِي
لَا تَتْرُكِيْنِي فِي غَيَابَاتِ الْجَوَى ... أَشْقَى بِشَوْقٍ لَاذِعٍ مُتَطَرِّفِ
مُنْذُ اِبْتَعَادِكِ جُبْتُ كُلَّ أَزِقَّةٍ ... أَرْوِيْكِ فِي كُلِّ الدُّرُوْبِ وَأَقْتَفِي
بِاللهِ يَا مَنْ قَدْ تَرَبَّعَ فِي الْحَشَا ... "قُوْلِي أُحِبُّكِ مَرَّةً ثُمَّ اخْتَفِي"

الشاعر: محمد الشرقاوي

بين أنيابِ الجراح

ومِنْ القصائدِ قد حجبتُ ألوفا ... إذ بات ساعدُ أمَّتي مكتوفا
فالليلُ يرقصُ في المدائنِ والقرى ... واليأسُ يُغرَسُ في العيونِ صنوفا
والناسُ قد ألِفُوا المظالمَ وانبَروا ... في كُلِّ وادٍ يرفعون سيوفا
ويقاتلون الحقَّ دون هوادةٍ ... ويحطمون الصدقَ والمعروفا
ويصفقون لكلِّ فِسقٍ قادمٍ ... ويصارعون معالمًا وحروفا
ويغادرون النورَ حين يُحيطهم ... فالقلبُ أصبح بالظلامِ شغوفا
يستهزئون إذا رأَوْا مِن حكمةٍ ... فالعقلُ أمسى ساقطًا مخطوفا
وإذا رأَوْا نورَ الحقيقةِ أغمضوا ... بسطوا لكلِّ الخائنين كفوفا
ليلٌ يُعربِدُ في النفوسِ ويرتدي ... ثوبَ الطهارةِ كي يُطيلَ وقوفا
إنْ قلتَ للمخدوعِ انظرْ هاهنا ... برز اللصوصُ ليجعلوك نتوفا
وجميعُ من تسعى لحفظِ حقوقِهم ... فرُّوا، أقرُّوا العيشَ - بعدُ - ضيوفا
لا حلمَ يسكنُ في الفؤادِ يقودُهم ... لا عزمَ ينبتُ كي يصيرَ قطوفا
هِمَمٌ تورات خلفَ ربعِ لقيمةٍ ... لتظلَّ تسكنُ في الظلامِ كهوفا
فالعاشقونَ مدى الحياةِ سقوطَهم ... رقصوا وغنوا لحنَهم معزوفا
وتسابقوا نحو الفواحشِ مثلما ... يدنو الجياعُ ويأكلون خروفا
مدنٌ تُراقُ ولا تبوحُ بجُرحِها ... والشمسُ تعلنُ للعبيدِ كُسوفا
أنتم رضيتم بالقعود وجمعُكم ... شربَ المذلةَ ساقطًا مقذوفا
في كُلِّ وادٍ تلهثون لفسقِهم ... فالوعي صار مغيبًا مجروفا

والحكمةُ الفيحاءُ تهجر دارَكم لتنالَ أرضُ الخانعين خسوفا
إنْ كان من لومٍ فلوموا عصبةً منكم تقابلُ بالقنوطِ صروفا
تمضي إلى الفجَّارِ تدعمُ صفَّهم ودمُ البراءةِ قد بدا منزوفا
تبكي الحقيقةُ حين يعلو صوتُها صارت شعوبُ المسلمين طيوفا

الأحداث

إعداد: شا هد محمود

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

النشرة الإخبارية لمؤسسة "المورد" أمريكا

(ديسمبر ٢٠٢٥م)

برنامج :استفسار – مع الدكتور عمار خان ناصر"

أطلق مركز غامدي سلسلة جديدة من جلسات الأسئلة والأجوبة بعنوان "استفسار مع الدكتور عمار خان ناصر"، حيث يجيب الدكتور عمار على أسئلة فكرية وعلمية تُطرح عليه مباشرة. ومن أبرز أسئلة طرحت عليه شهر نوفمبر ٢٠٢٥:

١- متى يجوز الانتقال من مذهب فقهي إلى آخر؟

٢- هل يجوز استعمال كلمة "كافر" لغير المسلمين؟

٣- هل اكتمل "إتمام الحجة" على غير المسلمين؟

٤- هل إقامة الدولة الإسلامية فرض لازم؟

وجميع الجلسات متاحة على قناة مركز غامدي في يوتيوب.

إسئل غامدي

جلسة شهرية مباشرة يطرح فيها الناس أسئلتهم الدينية والأخلاقية مباشرة على الأستاذ جاويد أحمد غامدي ويحصلون على أجوبتها منه. وكثيرمن الناس يشاركون في البرنامج كل شهر. ومن أبرز أسئلة نوفمبر ٢٠٢٥:

١- إذا لم يكن للإنسان أولاد ولا إخوة، فلمن يؤول إليه الميراث؟

٢- ما حقيقة القسم؟

٣- ما كفارة عدم الوفاء بالنذر؟

٤- هل تُحمّل ذنوب التابعين (الفالوورز) لقائدهم؟

والجلسة محفوظة على قناة المركز في اليوتيوب. ويمكن الرجوع إليها.

"هل الدين سهل أم صعب؟" — مع محمد حسن إلياس

استضاف برنامج Lunch with Lillasالشهري الأستاذ محمد حسن إلياس حيث ناقش موضوع "هل الدين سهل أم صعب؟ "في ضوء الواقع المعاصر.وأجاب على أسئلة مضيفة البرنامج السيدة نور، ومن الأسئلة التي تم تناولها:

١- هل الرجل والمرأة متساويان في نظر الإسلام؟

٢- هل تغطية الوجه فرض؟

٣- هل يصح الوضوء فوق طلاء الأظافر (النيل بولش)؟

بإمكانك مشاهدة الحلقة على قناة المركز في اليوتيوب.

"أهمية إسهاماتٍ الإمام شاه ولي الله"

مقال للأستاذ سيد منظور الحسن مستفاد من حديث الأستاذ غامدي يشرح فيه مكانة شاه ولي الله والمحور الذي يجمع بين منهجي السلف (الالتزام الظاهري) ومنهج الفقه والتدبر (النظر المنهجي الشامل). أبرز ما يبينه المقال: إن جلالة وليّ الله تتمثّل في أنه واقف داخل المدرسة العلمية القائمة على الفقه والتدبّر، ومع ذلك فهم بعمقٍ المدرسة السلفية أيضاً، ثم جمع بين المنهجين بغاية الحكمة. وقد أسهم عمله في إنهاء التشتّت القائم بين مختلف جوانب الدين، ليقدّم منظومة فكرية منسجمة ومتوازنة.

١- فإن الشاه ولي الله جمع بين المدرستين بعمق وحكمة.

٢- أنهى كثيراً من التشتت بين العلوم الشرعية.

٣- قدّم رؤية متوازنة جعلت المدرستين تعتبرانه إماماً لها.

المقال منشور في "إشراق أمريكا الأردية عدد الشهر السابق.

الدروس الأسبوعية في القرآن والحديث

في نوفمبر ٢٠٢٥:

١- تفسير الأستاذغامدي آيات ٥٩-٧٠ من سورة الحج.

٢- وفي دروس الحديث تحدث عن أحاديث رؤى النبي ﷺ، ومناماتها وتناول منها:

- حوار الملَك مع النبي ﷺ في المنام
- رؤيا النبي ﷺ لعائشة في المنام
- رؤيا النبي ﷺ نفسه في السلاح
- الإشارة للهجرة إلى مدينة النخيل

وجميع الجلسات متاحة على قناة المركز.

"أفكار غامدي"

برنامج أسبوعي بُدأ على قناة المركز، يقدمه سيد منظور الحسن، يشرح فيه أفكارالأستاذ غامدي بأسلوب مبسط. وعناوين حلقات نوفمبر ٢٠٢٥ كانت:

١- المسؤولية الحقيقية للعلماء
٢- حقيقة ختم القلوب
٣- هل الفتوى حُكم أم رأي؟

التصور الصحيح لقاعدة "الخراج بالضمان"

في هذا المقال، يُعيد محمد حسن إلياس قراءة القاعدة الفقهية المشهورة "الخراج بالضمان"، موضحاً أنها في الأصل:

الربح لمن يتحمل المسؤولية والكفالة. بينما ربطها بعض الفقهاء المتأخرين بالخسارة المالية فقط، وهو تفسير غير دقيق. نُشر المقال في "إشراق أمريكا الآردية" عدد نوفمبر ٢٠٢٥.

سلسلة "تفهيم الآثار"

برنامج يشرح آثار الصحابة والتابعين ويجيب عن الأسئلة المتعلقة بها. يقدمه الدكتور سيد مطيع الرحمن الذي يقوم باستضافة البرنامج ويشارك فيه الدكتور عمار خان ناصر. وموضوعات نوفمبر ٢٠٢٥ شملت:

١- سبب تحفّظ بعض الصحابة عن كتابة الحديث
٢- لماذا ظهر مدّعوا النبوة الكاذبون؟
٣- رسالة أبي بكر الصديق للمرتدين
٤- اهتمام بعض الصحابة بجمع الحديث

٥- تدوين الحديث ودور بني أمية

برنامج ملخص "إتمام الحجة" بالإنجليزية

قدّم شهزاد سليم ملخصاً بالإنجليزية لسلسلة "٢٣ اعتراضاً" فيما يخص موضوع "إتمام الحجة." الفيديو متاح على اليوتيوب.

انسحاب الإصلاحي من الجماعة الإسلامية ونشاطه الجديد

تناولت حلقة "حيات أمين" الأخيرة:

١- خلفيات استقالة مولانا أمين أحسن الإصلاحي من الجماعة الإسلامية

٢- رسالته إلى المودودي وأسباب الخلاف

٣- تأسيس مجلة "ميثاق"

٤- نشاطه العلمي الجديد وتدريب طلابه

٥- نقده لموقف الجماعة في انتخابات ١٩٦٥

"الإيمان والعقائد" ضمن سلسلة ميزان بالإنجليزية

سجل شهزاد سليم محاضرتين حول "الإيمان والعقائد" ضمن سلسلة تدريس كتاب "ميزان" بالإنجليزية.

الزاوية أوالخانقاه الإلكترونية لمركز غامدي

ناقشت جلسات الشهر:

١- دور الدعاء في الحياة

٢- التصدق بعد الإصابة بالعين

٣- تطور الإيمان

٤- الميل للخرافة رغم الإيمان

٥- الجوانب السبعة لقدرات الإنسان

حلقة دراسة الإسلام

جلسة شهرية باللغة الإنجليزية يديرها شهزاد سليم، تتضمن ثلاثة أجزاء:

١. مواضيع قرآنية

٢. أحاديث نبوية

٣. مقتطف من الكتاب المقدس ومن موضوعات الشهر:

- عبد الله الحقيقي

- صفات ثمينة
- عبء طاعة الله
- عادة سيئة أريد التخلص منها

وفي ختام الجلسة، تمّت الإجابة عن الأسئلة التي طرحها الحضور. وتُعقد هذه الجلسة باللغة الإنجليزية، ويمكن مشاهدة تسجيلها على قناة المؤسسةعلى اليوتيوب.

برنامج "علم وحكمة" مع غامدي على قناة "دنيا نيوز"

من أبرز الأسئلة التي نوقشت في نوفمبر ٢٠٢٥:

١- كيف نعالج أسباب الخطأ في فهم الحقيقة؟
٢- هل مسألة رفع اليدين قضية حق وباطل؟
٣- كيف نوفّق بين الشورى والدمقراطية الغربية؟
٤- ما الدليل على أن النظام السياسي يقوم بالشورى؟

الجلسات الاستشارية الخاصة — مع الدكتور شهزاد سليم

يهتم بهذه الجلسات الاستشارية شهزاد سليم كل شهريسئله الناس فيها عن مشاكل وقضايا ومعقدات يواجهونها في الحياة.

عُقد أكثر من ٤٠ جلسة في نوفمبر، تناولت مشاكل المراهقين، وصعوبات الوالدين، وقضايا أسرية متنوعة.

إصدار الفتاوى الشرعية

كثير من الناس يرجعون إلى مركز غامدي للاستفسارعن مشكلات الحياة المختلفة فتصدرلهم الفتاوي المبنية على التعاليم الدينية،و

خلال الشهر تم إصدار عدة فتاوى تتعلق:

١- بالزواج والطلاق
٢- بالميراث
٣- بمسائل اجتماعية واقتصادية

أصدرها محمد حسن إلياس وفق منهج الأستاذغامدي.

تدريس "البيان" بالإنجليزية

قدّم شهزاد سليم شرحاً لآيات ١٥٣-١٦٥من سورة الأنعام من تفسير "البيان"

باللغة الإنجليزية. ويهدف البرنامج إلى إفادة الناطقين باللغة الانجليزية بمنهج البيان.

برنامج "اسئل الدكتور شهزاد سليم"

جلسة شهرية مباشرة يجيب فيها الدكتور شهزاد على الأسئلة الدينية والأخلاقية والاجتماعية بالعربية والإنجليزية.وفي هذه الجلسات يمكن للناس أن يقدموا تساولاتهم في اللغات الانجليزية والأردية. وتتوفرالجلسة كاملة على اليوتيوب.